تنبيه العارف البصير

على أسرار

الحزب الكبير

للإمام الشاذلي

تأليف

أبي الفيض محمد مرتضى بن محمد الزبيدي

المتوفى سنة ١٢٠٥هـ

طبعة على مخطوطة كتبها

المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي

خرّج أحاديثه

أبو الفضل بدر العمراني

المكتبة العلمية

بيروت - لبنان

تنبيه العارف البصير

على أسرار

الحزب الكبير

للإمام الشاذلي

تأليف

أبي الفيض محمد مرتضى بن محمد الزبيدي

المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ

طبعة على مخطوطة كتبها
المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي

خرج أحاديثه

أبو الفضل بدر العمراني

المكتبة العلمية

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر ودعاء

أهداني شقيق نفسي، ومزاج روحي، وقريبي على غير رحم، السيد الألمعي الحصيف النحرير، المولى عبد الملك الشباني، أدام الله لي خيره وبركاته، وواظب على إحسانه وإنعاماته، نسخة نفيسة من شرح أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني على الحزب الكبير للإمام أبي الحسن الشاذلي، بخط المؤرخ المصري عبد الرحمان الجبرتي، فأحببت نشر طبعة عليها سعياً في إحياء التراث، ومكافأة لهديته الكريمة، وتنويهاً بها، وشكراً عليها، راجياً له خير ما في حزب الشيخ من حار الدعاء وضارع التوسلات، فتقبل الله لي فيه ما دعوت له، وحقق ما تمنيته له، آمين، والحمد لله رب العالمين.

ترجمة الزبيدي

هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق، يرتفع نسبه إلى عبد الله بن أحمد المختفي بن عيسى موتم الأشبال، ابن زيد الشهيد ابن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أجمعين.

كان أصل جدوده، بواسط من العراق، ولذا كان ينسب نفسه أحياناً بالواسطي وبالعراقي، وينسب أيضاً: البلكرامي عزواً إلى بلكرام بشمال الهند، وبها كان مسقط رأسه في العشر الأول من شهر المحرم سنة 1145هـ.ق. 1732م.

وعلق به لقب المرتضى وغلب عليه، كما علقت به نسبة الزبيدي لأنه أقام طويلاً بزبيد من أرض اليمن، وقد كان المرتضى ينسب نفسه إلى الحسين، فيكثر فيما يكتبه من نعت نفسه بالحسيني.

فهو إذن الشيخ محمد بن محمد الحسيني العراقي الواسطي الزبيدي البلكرامي المرتضى المكنى بأبي الفيض وأبي الوقت وأبي الأشبال، والأولى أعرف.

انصرف المرتضى من صباه إلى العلم، وأخذ بالهند عن محمد بن فاخر الإله آبادي، وعن الشاه ولي الله الدهلوي، وتأثر بهما كثيراً فيما كانا عليه من السلفية واطراح التقليد.

ثم ارتحل إلى اليمن سنة 1162، وكان عمره حين ارتحاله لا

يزيد على سبع عشرة سنة، وتلقى من علمائها، ومن أشياخه كان:

الشيخ علي سليمان بن يحيى الأهدلي.

عبد الله بن سليمان الزبيدي.

عبد الخالق بن أبي بكر الأشعري الزبيدي.

ثم رحل إلى مكة سنة 1163، والتقى فيها بالشيخ عبد الرحمان بن مصطفى العيدروس، ثم رجع إلى اليمن، ثم عاد لزيارة الحرمين الشريفين سنة 1164، وفي هذه الزيارة الثانية التقى بشيخه محمد بن الطيب الفاسي الذي دفعه إلى الاتجاه اللغوي.

وفي سنة 1166 قصد المرتضى الطائف للأخذ عن العيدروس، وفي ذلك يقول:

«فنزلت عنده في نزله المذكور، مدة ستة أشهر وزيادة، فكنت عنده في عزّ وإكرام، ومؤانسة واحترام، وتلقيت عنه عند ذاك أشياء كثيرة، وقرأت بين يديه مختصر السعد مذاكرة، ولازمته ملازمة كلية، وأطلعني على ما عنده من الأسرار والغرائب في العلوم من المنطوق والمفهوم، وألبسني الخرقة، وأجازني بمروياته كلها، وبسلاسل الصوفية مما وصلت إليه، وهو الذي شوقني إلى دخول مصر».

وكان قصده إلى مصر سنة 1167، وكان عمره يوم دخلها 22 سنة.

ودخل الزبيدي مصر، وتنقل في جهات منها عديدة، وكتب رحلات عن انتقالاته فيها، واتصل بالعديد من الشيوخ كان من بينهم أبو الأنوار بن وفا الذي كناه بأبي الفيض تلك الكنية التي حرص على أن يكتني بها كلما ذكر نفسه أو عرف بها.

شخصيته وسمته ورواؤه

كان المرتضى كما وصفه الجبرتي نحيف البدن، ذهبي اللون، لطيف الذات، وقوراً محتشماً، كيساً ألمعياً، هشاً بشوشاً بساماً، قوي الذاكرة، واسع الحفظ والرواية.

وكان يتكلم الفارسية والتركية، ويعرف لسان الكرج.

وكان محبوباً عند الناس، كبير المنزلة عندهم لما كان عليه من جاذبية وخلال حسان.

وبما كان له من مكانة في قلوب الناس، راسله العلماء، وكاتبه الملوك، وتواترت عليه الهدايا والصلات، وتقاطرت عليه الوفود من كل وجهة، وعينت له الخلافة العثمانية جراية سخية.

بين الزبيدي وأحد العاهلين المغاربة

وجرى له مع العاهل المغربي المولى محمد بن عبد الله الواقعة التي أنبأ بها الجبرتي في عجائب الآثار فقال:

«واتفق أن مولاي محمداً سلطان المغرب رحمه الله، وصله بصلات قبل انجماعه الأخير وتزهده، وهو يقبلها ويقابلها بالحمد والثناء والدعاء، فأرسل له في سنة إحدى ومائتين صلة لها قدر، فردها وتورع عن قبولها، وضاعت ولم ترجع إلى السلطان، وعلم السلطان ذلك من جوابه، فأرسل إليه مكتوباً قرأته، وكان عندي ثم ضاع في الأوراق، ومضمونه العتاب والتوبيخ في رد الصلة، ويقول له: إنك رددت الصلة التي أرسلناها إليك من بيت مال المسلمين، وليتك حيث تورعت عنها كنت فرقتها على الفقراء والمحتاجين، فيكون لنا ولك أجر ذلك، إلا أنك رددتها وضاعت، ويلومه أيضاً

على شرحه كتاب الإحياء، ويقول له: كان ينبغي أن تشغل وقتك بشيء نافع غير ذلك، ويذكر وجه لومه له في ذلك، وما قاله العلماء، وكلاماً مفحماً مختصراً مفيداً، رحمه الله تعالى».

توفي الزبيدي رحمه الله مطعوناً سنة 1205هـ، ودفن بمشهد السيدة رقية رضي الله عنها.

مصادر ترجمة الزبيدي

ـ إجازة الكمال الغزي: ذكر فيها الزبيدي مولده، ونسبه، وأسماء شيوخه، ومن أجازه من العلماء بالمراسلة، وسرد فيها مؤلفاته، وأورد فيها نبذاً من شعره، وتوجد مخطوطتها بجامعة برنستون.

ـ معجم شيوخ الزبيدي: منه مخطوطة محفوظة بمكتبة عارف بالمدينة، كتبها الزبيدي بخط يده.

ـ إجازة السويدي: هي إجازة كتبها الزبيدي للعالم العراقي محمد بن سعيد السويدي، وقد نشرتها مجلة المجمع العلمي بدمشق بمجلدها الثامن سنة 1928م.

ـ عجائب الآثار، في التراجم والأخبار: تأليف الشيخ عبد الرحمان بن حسن الجبرتي الحنفي المتوفى سنة 1237هـ.

أورد ترجمته في حوادث سنة 1205هـ، وهو كان أحد تلاميذ الزبيدي.

ـ الخطط التوفيقية: لعلي مبارك المتوفى سنة 1893م.

ـ تاريخ الآداب العربية: تأليف جرجي زيدان (ج 3، ص 310).

ـ الأعلام: لخير الدين الزركلي (ج 7، ص 297).

ـ معجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة (ج 11، ص 282).

ـ نوادر المخطوطات: وترجمه عبد السلام هارون بالمجموعة الخامسة من نوادر المخطوطات وهو يقدم لرسالته في الخط والخطاطين التي تحمل عنوان: حكمة الإشراق، إلى كتاب الآفاق (ص 52ـ61).

ـ فهرس الفهارس: وأحفل ترجمة للزبيدي ما كتبه عنه الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه فهرس الفهارس بالجزء الأول منه ابتداء من ص 398 إلى ص 413.

ـ مقدمة ترويح القلوب: ومن أحسن تراجمه تنسيقاً، وأدقها تحقيقاً، وأوفاها بذكر أخباره ومصادرها ما كتبه الدكتور صلاح الدين المنجد في تقديمه لكتابه ترويح القلوب الذي قام بتحقيقه ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1971م.

تآليف الزبيدي

ورّثنا الزبيدي من بعده زهاء مائة تأليف، وهذا مسرد بطائفة منها:

1ـ الأمالي الحديثية (في أربعمائة مجلس).

2ـ شرح حديث أم زرع.

3ـ التحبير، في الحديث المسلسل بالتكبير.

4ـ بذل المجهود في تخريج حديث «شيبتني هود».

5ـ بلغة الأريب، في مصطلح آثار الحبيب.

6ـ تخريج أحاديث الأربعين النووية.

7ـ الجواهر المنيفة، في أصول مذهب الإمام أبي حنيفة (طبع بالإسكندرية في جزأين سنة 1292هـ).

8ـ إتحاف السادة المتقين، بشرح أسرار إحياء علوم الدين (طبع بفاس في ثلاثة عشر جزءاً عام 1302هـ، ثم بالميمنية في عشرة أجزاء، عام 1311هـ).

9ـ عقيلة الأتراب في سند الطريقة والأحزاب.

10ـ العقد المكلل بالسمط الثمين، في طرق الإلباس والذكر والتلقين.

11ـ الموارد البهية، في الطريقة النقشبندية.

12ـ زهرة الأكمام، بشرح صيغة سيدي عبد السلام.

13ـ شرح صيغة السيد البدوي.

14ـ شرح الحزب الكبير للشاذلي: (طبع بمطبعة السعادة سنة 1333هـ، ومعه شرح أبي زيد عبد الرحمان الفاسي عليه).

15ـ إقرار العين، بذكر من نسب إلى الحسن والحسين.

16ـ القول المعطار، في نسب بني جعفر الطيار.

17ـ جذوة الاقتباس، في نسب بني العباس.

18ـ القول النفيس، في نسب بني إدريس.

19ـ شرح الصدر، في أسماء أهل بدر.

20ـ ترويح القلوب، بذكر الملوك بني أيوب.

قال في أوله:

«هذه نبذة صغيرة، ضمنتها ذكر نسب الملوك بني أيوب، وذكر أولادهم، وما لهم من مسموعات على المحدثين، مع ذكر ألقابهم وكناهم ووفياتهم، مما ظفرت به في أثناء مطالعتي لكتب التواريخ والأجزاء الحديثية، ومعاجم الشيوخ، وسميته: ترويح القلوب، بذكر الملوك بني أيوب».

وقال في آخره: «تمّ ما أردنا بيانه في مجلسين مفترقين، الآخر من التسع بقيت من ذي الحجة 1187».

منه مخطوطة في ست ورقات كتبت بخط المؤلف هي مما تحتفظ به جامعة برنستون في مكتبتها.

نشر بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1971.

21ـ تاج العروس، من جواهر القاموس.

قال تلميذه الجبرتي في عجائب الآثار، يروي قصة تأليفه، وكيف تلقاه أشياخ عصره بالقبول:

«وشرع في شرح القاموس حتى أتمه في عدة سنين في نحو أربعة عشر مجلداً، وسماه: تاج العروس، ولما أكمله أولم وليمة حافلة جمع فيها طلاب العلم وأشياخ الوقت بغيط المعدية، وذلك في سنة إحدى وثمانين ومائة وألف، وأطلعهم عليه، فاغتبطوا به، وشهدوا بفضله وسعة اطلاعه ورسوخه في علم اللغة، وكتبوا عليه تقاريظهم نثراً ونظماً، ولما أنشأ محمد بك أبو الذهب جامعه المعروف به بالقرب من الأزهر، وعمل فيه خزانة الكتب، واشترى جملة من الكتب ووضعها بها أنهوا إليه شرح القاموس هذا وعرفوه أنه إذا وضع بالخزانة كمل نظامها وانفردت بذلك دون غيرها، ورغبوه في ذلك، فطلبه وعوضه عنه مائة ألف درهم فضة ووضعه فيها».

(طبع منه خمسة أجزاء بالوهبية عام 1286هـ، ثم طبع كاملاً في عشرة أجزاء بالمطبعة الخيرية عام 1306هـ، ثم في بيروت بتصحيح مصطفى جواد، وأخيراً بالكويت مع مقدمة ضافية في التعريف به وبصاحبه).

22ـ قلنسوة التاج.

قال الجبرتي بشأنها في العجائب وهو يسرد تآليف الزبيدي:

«ورسالة سماها: قلنسوة التاج، ألفها باسم الأستاذ العلامة الصالح الشيخ محمد بن بدير المقدسي، وذلك لما أكمل شرح القاموس المسمى بتاج العروس، فأرسل إليه كراريس من أوله حين كان بمصر، وذلك في سنة اثنتين وثمانين ليطلع عليها شيخه الشيخ عطية الأجهوري، ويكتب عليها تقريظاً، ففعل ذلك وكتب إليه يستجيزه، فكتب إليه أسانيده العالية في كراسة، وسماها قلنسوة التاج».

23ـ نشوة الارتياح، في بيان حقيقة الميسر والقداح.

24ـ هدية الإخوان، في شجرة الدخان.

25ـ التفتيش، في معنى لفظ درويش.

26ـ القول المبتوت، في تحقيق لفظ التابوت.

27ـ القول المثبوت، في تحقيق لفظ الياقوت.

28ـ حكمة الإشراق، إلى كتاب الآفاق.

قال في أولها: «ألّفت هذه الرسالة مشتملة على فضيلة الخط والعلم، وما جاء فيهما من الآثار، وما للحكماء فيهما من الأسرار، وبيان من وضع الخط أولاً، وألّف الحروف، وألبسها حلل التفصيل وأحلها في أحسن الظروف، ثم بيان الأجلة من الكتّاب، والأعيان من أهل الفن بالنسق المستطاب».

نشر بتحقيق عبد السلام هارون ضمن المجموعة الخامسة من نوادر المخطوطات سنة 1954م.

أبو الحسن الشاذلي

فأما صاحب الحزب فهو أشهر من أن يعرف، وأبين من أن يوصف، ولكن لا بد مما ليس منه بدّ، ولا غنى عن ورقة تعريف به تقدّم مع المخطوطة، فلتكن بقلم الزبيدي نفسه فهو أوفق.

قال في التاج، وهو يشرح مادة (شذل):

«وشادلة بهاء قرية بالمغرب، قرب تونس كما في لطائف المنن، أو هي بالذال المعجمة، قال شيخنا: وقد أنكروه وتعقبوه، منها السيد القطب الإمام أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يونس بن يوشع بن ورد بن أبي بطال علي بن أحمد بن محمد بن عيسى بن إدريس بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب الحسيني الإدريسي الشاذلي قدس الله سره ونفعنا به آمين».

«أستاذ الطائفة العلية الشاذلية من صوفية الإسكندرية، أي لما ورد من المغرب نزل بها، قال شيخنا: وقد رد ذلك شيخ مشايخنا أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي في شرح داليته حيث قال: الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الجبار الزرويلي، ونسب إلى شادلة لأنه كان يتعبد فيها، وليس منها كما توهم صاحب القاموس، واقتفى أثره تلميذه شيخنا الإمام أبو عبد الله محمد بن المسناوي، وأقرّه على ما قاله، وله رضي الله عنه ترجمة مبسوطة في لطائف المنن وغيره».

«ولد رضي الله تعالى عنه في سنة 591 ويقال: 593 بقرية غمارة من قرى إفريقية بالقرب من سبتة، ثم انتقل إلى تونس، وسكن شاذلة من قرى إفريقية، ودخل الشرق، وتوفي بصحراء عيذاب سنة 656 في شهر ذي القعدة أو شوال».

«وفيهم (يعني الشاذلية) يقول الأستاذ العارف بالله تاج الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري:

تمسك بحب الشاذلية تلق ما
تروم فحقّق ذاك منهم وحصّل
ولا تعدون عيناك عنهم فإنهم
نجوم هدى في أعين المتأمل

وقال أبو الحسن علي بن عمر القرشي المخائي الشاذلي:

أنا شاذلي ما حييت، وإن أمت
فمشورتي في الناس أن يتشذّلوا

قال سيدي شمس الدين أبو محمود الحنفي قدس الله سره: اختصت الشاذلية بثلاثة أشياء لم تكن لأحد قبلهم ولا بعدهم:

الأول: أنهم مختارون من اللوح المحفوظ.

الثاني: أن المجذوب منهم يرجع إلى الصحو.

الثالث: أن القطب منهم دائماً أبداً إلى يوم القيامة.

وقال القطب سيدي ناصر الدين محمد الشاطر لتلميذه، سيدي محمد الشريفي:

«يا محمد، إذا أراد الله بعبد سوءاً سلطه على شاذلي».

وقال أبو العباس المرسي:

«إذا أراد الله أن ينزل بلاء سلم منه أمة محمد ﷺ، فإن كان عموماً سلمت منه الشاذلية».

«واختلف في أخذ سيدي أبي الحسن الشاذلي فقيل:

أخذ عن سيدي عبد السلام بن مشيش، عن أبي العباس السبتي، عن أبي محمد صالح، عن أبي مدين الغوث، وذكر القشاشي في السمط المجيد أن سيدي عبد السلام أخذ عن أبي مدين من غير واسطة، قال أبو سالم العياشي، والتاريخ يقبله، وأخذ الإمام أبو الحسن أيضاً عن أبي الفتح الواسطي شيخ مشايخ الرفاعية بمصر».

«وسند هذه الطريقة وكيفية تسلسلها إلى فوق قد بيّناه في كتاب العقد الثمين، وفي إتحاف الأصفياء، وغيرهما من الرسائل».

ما هو الحزب؟

والحزب الطائفة من الناس عندما تتشابه قلوبهم، وإذ تتفق أحوالهم، وحين يكونون على الشاكلة الواحدة، وفي المنهاج الذي لا يختلف.

قال الله تعالى يذكر المنافقين:

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: 19].

وقال جل شأنه يصف المؤمنين:

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22].

ويأتي الحزب بمعنى القسم والنصيب، ومنه تحزيب القرآن، ومنه النوبة من ورد الماء، ومنه أعطني حزبي من كذا.

ثم أطلق على ما يرتبه المتعبد على نفسه من ذكر ودعاء وقراءة وصلاة.

ثم جرى على الأدعية التي يضعها كبار الشيوخ لتتلى على انتظام وفي أوقات معلومة، أو في الأحوال التي تستدعي تضرعاً وابتهالاً.

وكان أول دعاء عرف باسم الحزب دعاء الشيخ عبد القادر

الجيلاني المتوفى عام 561هـ.

وبعده دعاء الشيخ محيي الدين بن عربي الحاتمي المتوفى عام 638هـ.

وبعدهما دعاء الشيخ أحمد البدوي المتوفى عام 675هـ.

واشتهر بعد ذلك حزب الإمام أبي زكرياء يحيى بن شرف النووي المتوفى عام 676هـ.

ثم ترادفت الأحزاب تترى حتى كان منها ومن شروحها مكتبة عامرة.

وإن من أعلام الأحزاب ومشاهيرها الحزبين المباركين اللذين وضعهما أبو الحسن الشاذلي، ويعرف أحدهما بالحزب الصغير وبحزب البحر، واشتهر الآخر باسم حزب البر، وبالحزب الكبير أيضاً، وهو هذا الذي وضع عليه الشيخ مرتضى الزبيدي شرحه هذا الذي أقدمه للقراء في هذه الطبعة إحياء للحزب ولشرحه ولطبعة سابقة نفدت نسخها أو كادت.

وبالله التوفيق، وهو نعم المعين، وله الحمد فيما وفق وأعان.

وصف المخطوطة

تتألف المخطوطة من ست وعشرين ورقة بطول 20 سم في عرض 13 سم، وتشغل الكتابة من سعة الورقة 14× 8 سم، والباقي طرة، وعدد السطور في كل صفحة سبعة وعشرون سطراً، كل سطر منها ينتظم في المعدل أربع عشرة كلمة.

والورق الذي كتبت عليه المخطوطة صفيق رقيق متين، والخط دقيق قويم متسق.

وقد التزم الناسخ ما عرف في اصطلاح الوراقين بالتعقيبة، وهي الكلمة التي تكتب على الطرة السفلى إلى اليسار عند الفراغ من كتابة الصفحة، لتشير إلى بداية الصفحة التالية.

طريقة الزبيدي في الشرح

سلك الزبيدي في شرحه على حزب الشاذلي طريقة المزج التي بيّنها خليفة في كشفه فقال:

«إن أساليب الشرح على ثلاثة أقسام:

الأول: الشرح بقال أقول، كشرح المقاصد وشرح الطوالع للأصفهاني وشرح العضد، وأما المتن فقد يكتب في بعض النسخ بتمامه، وقد لا يكتب لكونه مندرجاً في الشرح بلا امتياز.

الثاني: الشرح بقوله، كشرح البخاري لابن حجر، والكرماني

ونحوهما، وفي أمثاله لا يلتزم المتن، إنما المقصود ذكر المواضع المشروحة، ومع ذلك قد يكتب بعض النساخ متنه تماماً، إما في الهامش، وإما في المسطر فلا ينكر نفعه.

الثالث: الشرح مزجاً، ويقال له: شرح ممزوج، يمزج فيه عبارة المتن والشرح، ثم يمتازان إما بالميم والشين، وإما بخط فوق المتن، وهو طريقة أكثر الشراح المتأخرين من المحققين وغيرهم، لكنه ليس بمأمون عن الخلط والغلط».

وسيلتقي القارىء في نهاية الشرح، وعند ذكر الزبيدي لسنده في حزب الشيخ برمز كتب على صورة حاء مهملة، وإذ قدرت أنه ربما خفيت عليه دلالته، فإني ساعدته بتبيان ذلك، نقلاً عن خلاصة الطيبي في أصول الحديث، قال الطيبي في خلاصته يشرح مرموز تلك الحاء، عند أهل الآثار:

«وإذا كان للحديث إسنادان أو أكثر، كتبوا عند الانتقال من إسناد إلى إسناد مسمى (حا) مفردة مهملة، قال ابن الصلاح: ولم يأتنا عن أحد ممن يعتمد بيان لأمرها غير أني وجدت بخط جماعة من الحفاظ في مكانها بدلاً عنها صح صريحة، وهذا يشعر بكونها رمزاً إلى صح وحسن إثباته، لئلا يتوهم أن حديث هذا الإسناد سقط، ولئلا يركب الاسناد الثاني على الإسناد الأول فيجعلا إسناداً واحداً، وقيل: من حائل أي يحول بين الإسنادين، وليست من الحديث، فلا يلفظ بشيء عند الانتهاء إليها في القراءة».

وفي المخطوطة أخطاء فاحشة، ولكنها ليست بالفاشية، يبرأ الزبيدي منها قطعاً لتمكّنه في العربية، فتعلق بالجبرتي وتكون من جهله، وعسى أن تكون من سهوه، وقد قمت بإصلاحها تنزيهاً

للكتاب عنها ودرءاً لضررها على ضعاف القراء.

وكان شرح الزبيدي قد صدر في طبعة سابقة، أخرجتها مطبعة السعادة سنة 1333هـ، وقد نفدت اليوم أو كادت ولا أعلم له طبعة سواها.

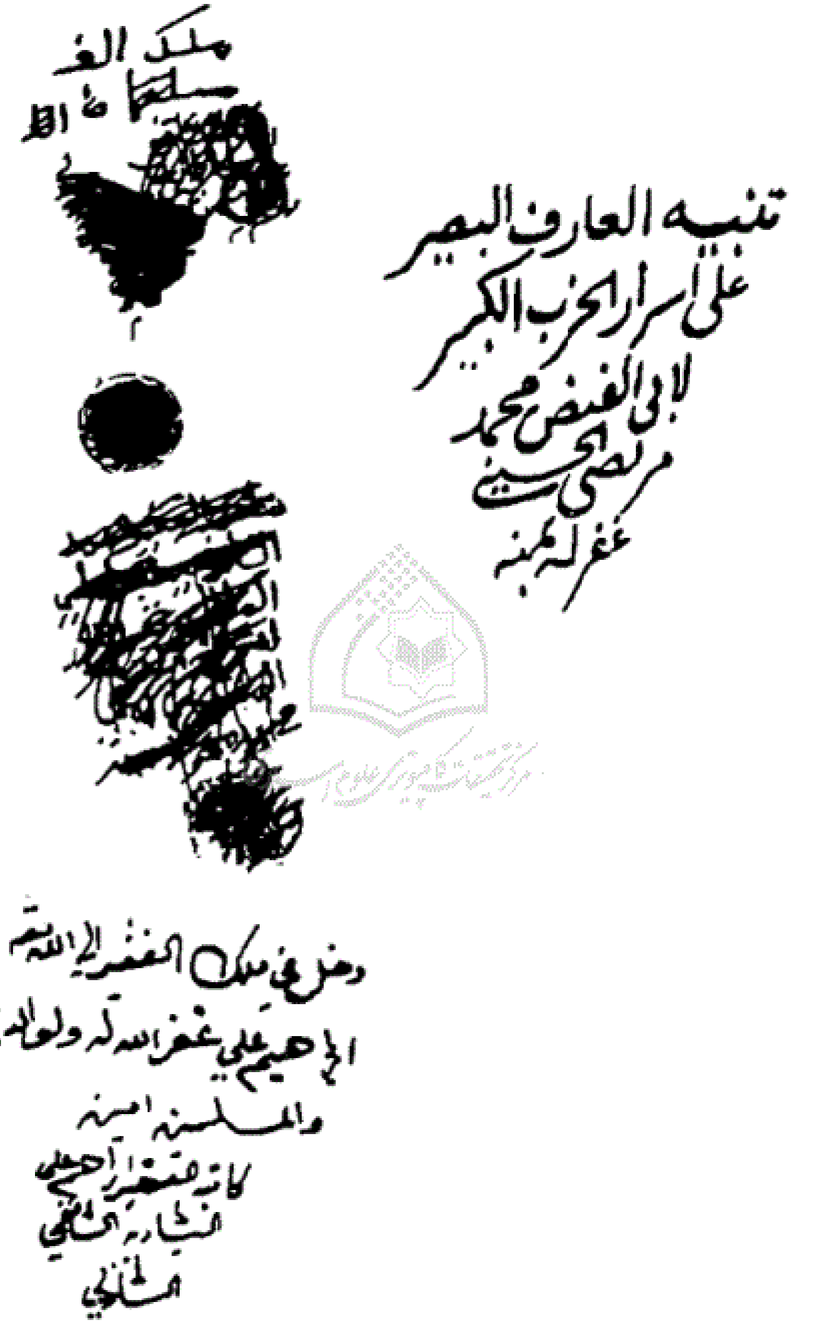
وإذ كان الشرح من النوع الممزوج، وإذ تأتى للجبرتي ما لم يتأت لي من كتابة المتن بالحمرة، فإني كنفت نص المتن بقوسين تمييزاً له عن كلام الشارح.

وبعد، فقد أديت إلى القارىء ما ألفيته في المخطوطة على الأمانة، وقدمته إليه كما هو عليه، فليثق أنه يقرأ ما نسخه الجبرتي من مسودة شيخه حرفاً حرفاً، وكلمة كلمة، وعبارة بعبارة، من غير تبديل، وباتقاء الوعيد الذي قال الله فيه:

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١﴾ [البقرة: 181]، صدق الله العظيم.

مراكش 1/1/1977

أحمد الشرقاوي إقبال


تنبيه العارف البصير
على أسرار الحزب الكبير
لأبي الفيض محمد
مرتضى الحسيني
غفر له بمنه

دخل في ملك الفقير إلى الله تعالى
إبراهيم علي غفر الله له ولوالديه
والمسلمين آمين

صفحة العنوان من المخطوطة



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم
الحمد لله فاتح أبواب خزائن أسراره لمن شاء من خواص أحبابه والصلوة
والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا ومولانا محمد خلاصة من اصفاه من
بين أحبابه وعلى آله وذويه وعشيرته وأصحابه وأحزابه وبعد فقد
كنت في سنة 1175 كتبت شرحا مختصرا على الحزب الكبير للقطب الأكبر والغوث
الأشهر إمام الطريقة وشيخ الحقيقة وحجة الصوفية علم المهتدين وزين
العارفين الشريف أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الحسني الإدريسي
الشهير بالشاذلي قدس الله أسراره وأفاض علينا أنواره وكان بعض
المحبين استعاره مني لانتساخه وبعد مدة طالبته فأنكره وقد عن لي
الآن أن أشرحه شرحا مفيدا لا طويلا مملا ولا قصيرا مخلا بعد أن طالعت
عليه شرح شيخ شيوخنا الإمام العارف العلامة أبي عبد الله محمد بن عبد
السلام بن حمدون البناني الفاسي منبها على بعض إشارات ورموز مما
استفدتها من مشكوة صدور مشايخي العارفين مشيرا إلى تحقيق
رواياته المختلف فيها ما للفيلي والترمذي من الفاسيين غير متعرض
لتفسير الآيات الكريمة إذ ذلك مبين في محله وأيضا فإن مقصود الأستاذ
رضي الله عنه من إيرادها قصد التبرك فيكتفي على تلاوتها بمجرد فهم المعنى
الظاهر فقط لئلا يتشوش ذهن المبتدي القاصر وسميته تنبيه
العارف البصير على أسرار الحزب الكبير وعلى الله توكلي وبه أستعين
في أمور الدنيا والدين وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك
المعبود اعلم أن هذا الحزب الشريف يسمى حزب البر كما هو المشهور
على الألسنة وكأنه في مقابلة حزبه الصغير المسمى بحزب البحر ويسمى وردا بعد
الصبح لكونه رتب وردا في هذا الوقت بعد وفاة الأستاذ رضي الله عنه
أي بإشارة تلميذه أبي العباس المرسي ويحتمل في حال حياته ولا مانع ولعل
وجه تخصيصه بذلك لما فيه من الأسرار والأنوار والفيوضات الفتحية
التي يناسب أن يكون تلقيها واستفاضتها للسالكين في مبدإ الوقت
وأوله وحسن التنهي معلق بحسن المبدإ غالبا وسماه ابن عطاء الله في
اللطائف حزب وإذا جاء أي لكونه بدئ بهذه الآية وأما ما يتعلق

بزرجة

الصفحة الأولى من المخطوطة

من الشيخ الزاهد ياقوت بن عبد الله العرشي ح وأخذ الكمال الطويل عن
الشمس محمد بن محمد بن الجزري عن التاج عبد الوهاب بن علي بن عبد
الكافي عن والده عن أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله
السكندري ح وأخذ البابلي أيضاً عن علي بن يحيى الزيادي عن يوسف
بن زكريا هو وشيخنا أيضاً عن الجمال إبراهيم بن علي القلقشندي عن
الشهاب أحمد بن محمد بن أبي بكر الواسطي عن أبي الفتح محمد بن محمد الميدومي ح
ووقع لي سنده أعلى مما ذكر بدرجات ومن طريق المعمرين عن شيخي السيد العارف
محيي الدين نور الحق بن عبد الله الحسيني عن السيد المعمر السياح شاه مسعود
الاسفرايني هو والميدومي وابن عطاء الله وياقوت العرشي عن القطب
أبي العباس أحمد بن عمر الأنصاري المرسي عن القطب أبي الحسن الشاذلي قدس سره
ولنا بالواسطة الثالثة عن شيخنا السيد عمر بن أحمد بن عقيل الحسيني والسيد
عبد الحي بن الحسن وأحمد الملوي وأحمد الجوهري المذكورين كلهم عن عبد الله
بن سالم البصري عن الشيخ عيسى بن محمد الثعالبي عن أبي الصلاح علي بن
عبد الواحد الأنصاري عن أبي العباس أحمد بن محمد بن يحيى المقري التلمساني
عن عمه أحمد بن يحيى المقري عن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الجليل التنسي عن
أبي الفضل محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق الحفيد عن أبي الطيب بن علوان
التونسي عن أبي الحسن محمد بن أحمد البطرني عن أبيه عن أبي العزائم ماضي بن
سلطان خادم الشيخ عن سيده القطب أبي الحسن الشاذلي قدس سره
وإلى هنا تم الكلام ونال الكرام حسن الختام فرغ من تسويده في مجالس
آخرها عصر نهار الاثنين ثالث عشر محرم الحرام افتتاح سنة ١١٩٥ ختم بالخير
كاتبه العبد المفتقر أبو الفيض محمد مرتضى بن محمد الحسيني غفر الله ذنوبه وستر
عيوبه آمين حامداً لله ومصلياً على نبيه ومسلماً سبحان ربك رب العزة
عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين
وكان الفراغ من تبييضه من مسودة مولانا المؤلف حفظه الله ونفعنا على يد
تلميذه الفقير الحقير عبد الرحمن بن حسن الجبرتي الحنفي عصر يوم الخميس المبارك
تاسع عشر ربيع الثاني سنة [illegible] حامداً لله ومصلياً على رسوله وداعياً
للمؤلف بطول البقا لنفع عباده المسلمين آمين بجاه سيد المرسلين

الصفحة الآخرة من المخطوطة

نص الحزب مجرداً

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥٤﴾ [الأنعام: 54].

بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة، وخلق كل شيء، وهو بكل شيء عليم. ذلكم الله ربكم، لا إله إلا هو، خالق كل شيء، فاعبدوه، وهو على كل شيء وكيل، لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير، ألر، كهيعص، حم، عسق.

رب احكم بالحق، وربنا الرحمان المستعان على ما تصفون، طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، إلا تذكرة لمن يخشى، تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى، الرحمان على العرش استوى، له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى، الله لا إله إلا هو، له الأسماء الحسنى.

اللهم إنك تعلم أني بالجهالة معروف، وأنت بالعلم موصوف، وقد وسعت كل شيء من جهالتي بعلمك، فسع ذلك برحمتك كما وسعته بعلمك، واغفر لي، إنك على كل شيء قدير.

يا الله يا مالك، يا وهاب، هب لنا من نعماك ما علمت لنا فيه رضاك، واكسنا كسوة تقنا بها من الفتن في جميع عطاياك، وقدسنا عن كل وصف يوجب نقصاً مما استأثرت به في علمك عمن سواك.

يا الله يا عظيم يا علي يا كبير، نسألك الفقر مما سواك، والغنى بك حتى لا نشهد إلا إياك، والطف بنا فيهما لطفاً علمته يصلح لمن والاك، واكسنا جلابيب العصمة في الأنفاس واللحظات، واجعلنا عبيداً لك في جميع الحالات، وعلمنا من لدنك علماً نصير به كاملين في المحيا والممات.

اللهم أنت الحميد الرب المجيد، الفعال لما تريد، تعلم فرحنا بماذا ولماذا وعلى ماذا، وتعلم حزننا كذلك، وقد أوجبت كون ما أردته فينا ومنا، ولا نسألك دفع ما تريد، ولكن نسألك التأييد بروح من عندك فيما تريد، كما أيدت أنبياءك ورسلك وخاصة الصدّيقين من خلقك، إنك على كل شيء قدير.

اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك، فهنيئاً لمن عرفك، فرضي بقضائك، والويل لمن لم يعرفك، بل الويل ثم الويل لمن أقرّ بوحدانيتك ولم يرض بأحكامك.

اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا، فكل عز يمنع دونك فنسألك بدله ذلاً تصحبه لطائف رحمتك، وكل وجد يحجب عنك فنسألك عوضه فقدا تصحبه أنوار محبتك، فإنه قد ظهرت السعادة على من أحببته، وظهرت الشقاوة على من غيرك ملكه فهب لنا من مواهب السعداء، واعصمنا من موارد الأشقياء.

اللهم إنّا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث نعلم بما نعلم، فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم، وقد أمرتنا ونهيتنا، والمدح والذم ألزمتنا، فأخو الصلاح من أصلحته، وأخو الفساد من أضللته، والسعيد حقاً من أغنيته عن السؤال منك، والشقي حقاً من حرمته مع كثرة السؤال لك، فأغننا بفضلك عن سؤالنا منك، ولا تحرمنا من رحمتك مع كثرة سؤالنا لك، إنك على كل شيء قدير.

يا شديد البطش يا جبار، يا قهار، يا حكيم، نعوذ بك من شر ما خلقت، ونعوذ بك من ظلمة ما أبدعت، ونعوذ بك من كيد النفوس فيما قدرت وأردت، ونعوذ بك من شر الحساد على ما أنعمت، ونسألك عز الدنيا والآخرة، كما سألك نبيك محمد ﷺ عز الدنيا بالإيمان والمعرفة، وعز الآخرة باللقاء والمشاهدة، إنك سميع قريب مجيب.

اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السماوات وأهل الأرض، وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان، أقدم إليك بين يدي ذلك كله الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السماوات وما في الأرض، ومن ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وسع كرسيه السماوات والأرض، ولا يؤوده حفظهما، وهو العلي العظيم.

أقسمت عليك ببسط يديك وكرم وجهك، ونور عينك وكمال أعينك، أن تعطينا خير ما نفذت به مشيئتك، وتعلقت به قدرتك، وأحاط به علمك، واكفنا شر ما هو ضد لذلك، وأكمل ديننا وأتمم علينا نعمتك، وهب لنا حكمة الحكمة البالغة مع الحياة الطيبة

والموتة الحسنة، وتولّ قبض أرواحنا بيدك، وحل بيننا وبين غيرك في البرزخ وما قبله وما بعده بنور ذاتك وعظيم قدرتك وجميل فضلك إنك على كل شيء قدير.

يا الله، يا علي، يا عظيم، يا حليم، يا حكيم، يا كريم، يا سميع، يا قريب، يا مجيب، يا ودود، حل بيننا وبين فتنة الدنيا والنساء والغفلة والشهوة وظلم العباد وسوء الخلق، واغفر لنا ذنوبنا، واقض عنا تبعاتنا، واكشف عنا السوء، ونجنا من الغم، واجعل لنا منه مخرجاً إنك على كل شيء قدير.

يا الله يا الله يا الله يا لطيف، يا رازق، يا قوي، يا عزيز، لك مقاليد السماوات والأرض، تبسط الرزق لمن تشاء وتقدر، فابسط لنا من الرزق ما توصلنا به إلى رحمتك، ومن رحمتك ما تحول به بيننا وبين نقمتك، ومن حلمك ما يسعنا به عفوك، واختم لنا بالسعادة التي ختمت بها لأوليائك، واجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائك، وزحزحنا في الدنيا عن نار الشهوة، وأدخلنا بفضلك في ميادين الرحمة، واكسنا من نورك جلابيب العصمة، واجعل لنا ظهيراً من عقولنا ومهيمناً من أرواحنا ومسخراً من أنفسنا، كي نسبّحك كثيراً ونذكرك كثيراً، إنك كنت بنا بصيراً، وهب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة، وافتح أسماعنا وأبصارنا، واذكرنا إذا غفلنا عنك بأحسن مما تذكرنا به إذا ذكرناك، وارحمنا إذا عصيناك بأتم مما ترحمنا به إذا أطعناك، واغفر لنا ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر، والطف بنا لطفاً يحجبنا عن غيرك ولا يحجبنا عنك، فإنك بكل شيء عليم.

اللهم إنّا نسألك لساناً رطباً بذكرك، وقلباً منعماً بشكرك، وبدناً هيناً ليناً بطاعتك، وأعطنا مع ذلك ما لا عين رأت، ولا أذن

سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كما أخبر به رسولك ﷺ حسبما علمته بعلمك، واغننا بلا سبب، واجعلنا سبب الغنى لأوليائك، وبرزخاً بينهم وبين أعدائك، إنك على كل شيء قدير.

اللهم إنّا نسألك إيماناً دائماً، ونسألك قلباً خاشعاً، ونسألك علماً نافعاً، ونسألك يقيناً صادقاً، ونسألك ديناً قيماً، ونسألك العافية من كل بلية، ونسألك تمام العافية، ونسألك دوام العافية، ونسألك الشكر على العافية، ونسألك الغنى عن الناس.

اللهم إنّا نسألك التوبة الكاملة، والمغفرة الشاملة، والمحبة الكاملة، والخلة الصافية، والمعرفة الواسعة، والأنوار الساطعة، والشفاعة القائمة، والحجة البالغة، والدرجة العالية، وفك وثاقنا من المعصية ورهاننا من النعمة بمواهب المنة.

اللهم إنّا نسألك التوبة ودوامها، ونعوذ بك من المعصية وأسبابها، فذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها، واحملنا على النجاة منها ومن التفكر في طرائقها، وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها، واستبدلها بالكراهة لها، والطعم لما هو بضدها، وأفض علينا من بحر كرمك وعفوك، حتى نخرج من الدنيا على السلامة من وبالها، واجعلنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالمين بها، وارؤف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها، وأرحنا من هموم الدنيا وغمومها بالروح والريحان إلى الجنة ونعيمها.

اللهم إنّا نسألك توبة سابقة منك إلينا لتكون توبتنا تابعة إليك منا، وهب لنا التلقي منك كتلقي آدم منك الكلمات ليكون قدوة لولده في التوبة والأعمال الصالحات، وباعد بيننا وبين العناد والإصرار والشبه بإبليس رأس الغواة، واجعل سيآتنا سيئات من

أحببت، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت، فالإحسان لا ينفع مع البغض منك، والإساءة لا تضر مع الحب منك، وقد أبهمت الأمر علينا لنرجو ونخاف، فآمن خوفنا ولا تخيب رجاءنا، وأعطنا سؤلنا، فقد أعطيتنا الإيمان من قبل أن نسألك، وكتبت وحببت وزينت وكرهت وأطلقت الألسن بما به ترجمت، فنعم الرب أنت، فلك الحمد على ما أنعمت، فاغفر لنا ولا تعاقبنا بالسلب بعد العطاء، ولا بكفران النعم وحرمان الرضا.

اللهم رضّنا بقضائك، وصبّرنا على طاعتك وعن معصيتك، وعن الشهوات الموجبات للنقص أو البعد عنك، وهب لنا حقيقة الإيمان بك حتى لا نخاف غيرك، ولا نرجو غيرك، ولا نحب غيرك، ولا نعبد شيئاً سواك، وأوزعنا شكر نعمائك، وغطنا برداء عافيتك، وانصرنا باليقين والتوكل عليك، وأسفر وجوهنا بنور صفاتك، وأضحكنا وبشرنا يوم القيامة بين أوليائك، واجعل يدك مبسوطة علينا وعلى أهلينا وأولادنا، ومن معنا برحمتك، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، يا نعم المجيب، يا نعم المجيب، يا نعم المجيب.

يا من هو هو هو في علوه قريب، يا ذا الجلال والإكرام، يا محيطاً بالليالي والأيام، أشكو إليك من غم الحجاب، وسوء الحساب، وشدة العذاب، وإن ذلك لواقع، ما له من دافع، إن لم ترحمني لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، ولقد شكا إليك يعقوب فخلصته من حزنه، ورددت عليه ما ذهب من بصره، وجمعت بينه وبين ولده، ولقد ناداك نوح من قبل فنجيته من كربه، ولقد ناداك أيوب من بعد فكشفت ما به من ضره، ولقد ناداك يونس فنجيته من غمه، ولقد ناداك زكرياء فوهبت له ولداً من صلبه بعد

يأس أهله وكبر سنه، ولقد علمت ما نزل بإبراهيم خليلك فأنقذته من نار عدوه، وأنجيت لوطاً وأهله من العذاب النازل بقومه، فها أنا ذا عبدك إن تعذبني بجميع ما علمت من عذابك فأنا حقيق به، وإن ترحمني كما رحمتهم مع عظيم إجرامي فأنت أولى بذلك وأحق من أكرم به، فليس كرمك مخصوصاً لمن أطاعك وأقبل عليك، بل هو مبذول بالسبق لمن شئت من خلقك وإن عصاك وأعرض عنك، وليس من الكرم أن لا تحسن إلا لمن أحسن إليك، وأنت المفضال الغني، بل من الكرم أن تحسن إلى من أساء إليك، وأنت الرحيم العلي، كيف وقد أمرتنا أن نحسن إلى من أساء إلينا، فأنت أولى بذلك منا، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

يا الله، يا الله، يا الله، يا رحمان، يا قيوم.

يا من هو هو هو يا هو إن لم نكن لرحمتك أهلاً أن ننالها فرحمتك أهل أن تنالنا.

يا رباه يا مولاه يا مغيث من عصاه.

أغثنا أغثنا يا رب يا كريم، وارحمنا يا بر، يا رحيم، يا من وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم.

أسألك الإيمان بحفظك إيماناً يسكن به قلبي من همّ الرزق وخوف الخلق، وأقرب مني بقدرتك قرباً تمحق به عني كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك، فلم يحتج لجبريل رسولك ولا لسؤاله منك وحجبته بذلك عن نار عدوه، وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحباء، كلا إني أسألك أن تغيبني

بقربك مني حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحس بقرب شيء ولا ببعده عني إنك على كل شيء قدير.

أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون، فتعالى الله الملك الحق، لا إله إلا هو رب العرش الكريم، ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه، إنه لا يفلح الكافرون، وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين.

هو الحي لا إله إلا هو، فادعوه مخلصين له الدين، الحمد لله رب العالمين.

إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما.

سبحان ربك ربّ العزّة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ①﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الحمد لله فاتح أبواب خزائن أسراره لمن شاء من خواص أحبابه، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على سيدنا ومولانا محمد خلاصة من اصطفاه من بين أنجابه، وعلى آله وذويه وعشيرته وأصحابه وأحزابه.

وبعد، فقد كنت في سنة 1175 كتبت شرحاً مختصراً على الحزب الكبير للقطب الأكبر، والغوث الأشهر، إمام الطريقة، وشيخ الحقيقة، وحجة الصوفية، علم المهتدين، وزين العارفين، الشريف أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الحسني

الإدريسي الشهير بالشاذلي، قدس الله أسراره، وأفاض علينا أنواره، وكان بعض المحبين استعاره مني لانتساخه، وبعد مدة طالبته فأنكره، وقد عنّ لي الآن أن أشرحه شرحاً مفيداً، لا طويلاً مملاً ولا قصيراً مخلا، بعد أن طالعت عليه شرح شيخ شيوخنا الإمام العارف العلامة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام بن حمدون البناني الفاسي منها على بعض إشارات ورموز، مما استفدتها من مشكاة صدور مشايخي العارفين، مشيراً إلى تحقيق رواياته المختلف فيها مما للمغيلي والترمذي من الفاسيين، غير متعرض لتفسير الآيات الكريمة، إذ ذلك مبين في محله، وأيضاً فإن مقصود الأستاذ رضي الله عنه من إيرادها قصد التبرك، فيكتفي على تلاوتها بمجرد فهم المعنى الظاهر فقط، لئلا يتشوّش ذهن المبتدىء القاصر، وسميته «تنبيه العارف البصير، على أسرار الحزب الكبير»، وعلى الله توكلي وبه أستعين في أمور الدنيا والدين، وهذا أوان الشروع في المقصود، بعون الملك المعبود.

اعلم أن هذا الحزب الشريف يسمى حزب البر كما هو المشهور على الألسنة، وكأنه في مقابلة حزبه الصغير المسمى بحزب البحر، ويسمى ورد بعد الصبح، لكونه رتب ورداً في هذا الوقت بعد وفاة الأستاذ رضي الله عنه، أي بإشارة تلميذه أبي العباس المرسي، ويحتمل في حال حياته، ولا مانع، ولعل وجه تخصيصه بذلك لما فيه من الأسرار والأنوار والفيوضات الفتحية التي يناسب أن يكون تلقيها واستفاضتها للسالكين في مبدأ الوقت وأوله، وحسن المنتهى متعلق بحسن المبدأ غالباً، وسماه ابن عطاء الله في اللطائف حزب وإذا جاءك أي لكونه بدىء بهذه الآية، وأما ما يتعلق بترجمة الأستاذ فقد أفصح عنها غير واحد من العلماء العارفين من الفقهاء

والمحدثين والمؤرخين، منهم الصلاح الصفدي، وصاحب وفيات الأعيان، والحافظ عبد العظيم المنذري في التكملة، والحافظ السيوطي في حسن المحاضرة، وأجمعها في كتاب لطائف المنن لابن عطاء الله وغيره من المتأخرين من المغاربة كالشهاب أحمد بن عبد الله السلجماسي في عذراء الوسائل، وأشار البناني إلى نبذة من ذلك، وأوردت في شرحي على القاموس في (ش د ل) شيئاً من ذلك، وأشرت إلى الخلاف في المنسوب إليه، وليس هذا محل التطويل، إذ المقصود التبرك بحل كلام الشيخ رضي الله عنه فنقول: منشؤه بالمغرب الأقصى، ومبدأ ظهوره بشاذلة، وهي من قرى إفريقية، ودخل تونس ثم الإسكندرية ومصر وحج، وممن كان يحضر مجلسه العز بن عبد السلام، وابن دقيق العيد، وناهيك بهما، والحافظ المنذري، وابن الحاجب، وابن الصلاح، وابن عصفور، وغيرهم بالكاملية من القاهرة، وتوفي في ذي القعدة سنة 656 بصحراء عيْذاب.

وأما فضائل هذا الحزب ففي شرح البناني ما نصه: حكى سيدي عبد النور العمراني عن الأستاذ بواسطتين أنه قال: ما رتبت منه كلمة إلا بإذن من ربي وأمر من رسول الله ﷺ أي على وجه التلقين يقظة أو نوماً، وإنه أمان للإقليم الذي يقرأ فيه، ولو قرىء ببغداد ما أخذت، وقال: إنه اجتمع في قراءته معه أربعون من الأبدال في مواجهة الكعبة وقال: من حفظه فهو من أصحابي، وقال: من قرأ حزبي هذا فله ما لنا وعليه ما علينا، وكان داخلاً في شفاعة جدي رسول الله ﷺ يعني شفاعة خاصة، وأما العامة فنفعها لكل مؤمن انتهى.

وقوله: أي على وجه التلقين يقظة أو نوماً يحتمل أن يكون

تفسيراً من كلام العمراني أو من البناني، وربما لا يحتاج إلى هذا التأويل ولا بد، إذ هو رضي الله عنه، من كبار العارفين اتفاقاً، وقد صرحوا أن العارف بالله تعالى كلمة كن أي جميع ما يصدر منه من الكلمات واللمحات والإشارات إنما هو بمنزلة الكاف والنون، فيكون كما أراده الباري عز وجل، فما تكلم به الشيخ رضي الله عنه أو جرى به قلمه فهو من إفاضة الحق سبحانه وتعالى على قلبه ولسانه لا غير، ويندرج في ذلك إذن الرسول ﷺ وأمره، إذ هو الواسطة العظمى، فعلى هذا لا يحتاج إلى تأويل اليقظة أو المنام في التلقين، لأن العارف الكامل إذا تمت له الأهلية التامة التي بها يستحق مرتبة الدنو، صحت له المأمورية المشار لها في حديث: «لا يفتي إلا أمير أو مأمور أوْ مُراء»[1] فإذا صحت له ذلك فهو إنما يورد ما يورده ويملي ما يمليه على لسان الحق جل وعز ولسان رسوله ﷺ، وإذا تأملت عرفت؛

ولعل تخصيص الشيخ بذلك لهذا الحزب خاصة مع أن كل أحزابه كذلك تنويهاً لشأنه وتفخيماً، إذ هو الجامع لأسرار سائر أحزابه بل أسرار جميع ما سبق من أحزاب الشيوخ الكمل، بل هو جامع لأسرار التوحيد بأنواعه والتكميل والإرشاد للسالكين بتفويض

(1) قال: صحت المأمورية لها في حديث: «لا يفتي إلا أمير أو مأمور أو مراء». قلت: رواه ابن ماجه 3753 من طريق عبد الله بن عمار الأسلمي، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقص على الناس إلا أمير أو مأمور أو مراء». وعبد الله بن عمار الأسلمي، قال الحافظ: ضعيف. لكن تابعه عبد الرحمان بن حرملة عند أحمد 6673 بسند حسن. وحسنه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء 1/ 21. أما اللفظ الذي ذكر المؤلف فلم نقف عليه، ولعله تحرف على الناسخ.

الأمور إلى الباري جل وعز وإسقاط التدبير لنفسه الذي عليه مبنى طريقته رضي الله عنه كما يشير إليه كلام أصحابه في كتبهم، وقد أفادني بعض الشيوخ أن هذا الحزب جامع لأسرار طريقة الشيخ حالاً ومقالاً، فمن تلاه كأنما تلا سائر أحزابه لاندراج أسرارها في طي عباراته ولا يحافظ على قراءته عند انشقاق الفجر إلا صدّيق.

قال البناني وقد شرحه بوضع حاشية عليه سيدي أحمد زروق، والشيخ سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي وشرحه أبو محمد التونسي.

قال رضي الله عنه:

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» افتتح رضي الله عنه حزبه هذا بآيات قرآنية، ورتبها ترتيباً غريباً حسبما اقتضاه الوارد الإلهي وجعلها وسيلة لمقصوده، واستجلاباً لفيوضات الحق جلّ وعز له ولمن تلاه بعد، وافتتحها بالاستعاذة امتثالاً للأمر الإلهي عند التلاوة لكلامه العظيم، وليس بعد الاستعاذة البسملة حسبما تلقى عن الشيوخ، ووجدت في نسخة المغيلي بعد ذكر الآيات الآتي ذكرها، والاقتصار على الوارد أولى.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: 54]، ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: 101-103].

قال البناني: قال أبو زيد الفاسي: استمر أكثر الشيوخ الشاذلية على قراءته من هذه الآية الشريفة قال: وبذلك سماه ابن عطاء الله في لطائف المنن، قال: وأما استفتاحه بآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ﴾ [التوبة: 111] وما معها من الآي فذكر عن واضعه رضي الله عنه أنه كان يقرؤه مرة ويتركه أخرى. انتهى.

قلت: وقد وجدت تفصيل الآيات والأدعية التي تقرأ بعد قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ﴾ الآية، في نسخة نقلت عن نسخة المغيلي فأحببت إيرادها هنا زيادة للفائدة، إذ لم يوجد تفصيل ذلك في أكثر النسخ التي بأيدينا، فمن وجد له فرصة في الوقت وحالاً مع الله تعالى فليقرأها قبل الحزب وإلا فليقتصر على المشهور من الروايات وهو ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ إلى ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ إلى ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 111-112]، ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ①﴾ إلى ﴿خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: 1-11]، ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ إلى ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 35]، ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ⑲﴾ إلى ﴿مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: 19 - 25].

اللهم إني أسألك صحبة الخوف وغلبة الشوق وثبات الأمر ودوام الفكر، ونسألك سر الأسرار، المانع من الإصرار، حتى لا يكون لنا مع الذنب أو العيب، قرار، واجتبنا واهدنا إلى العمل بهذه الكلمات التي بسطتها لنا على لسان رسولك، وابتليت بهن خليلك فأتمهن.

قلت: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: 124] فاجعلنا من المحسنين من ذريته ومن ذرية آدم ونوح، واسلك بنا سبيل أئمة المسلمين المتقين.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ①وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾
[آل عمران: 15]، ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ إلى ﴿هُوَ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 16ـ18]، ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ إلى
﴿ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران: 190 ـ 194]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾
[البقرة: 201] الآية، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ﴾ [البقرة: 286] الآية، ﴿رَبَّنَا
ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا﴾ [آل عمران: 147] الآية، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا﴾
[آل عمران: 8] الآية، ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 9] الآية،
﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ﴾ [آل عمران: 53] الآية، ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾
إلى ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: 84 ـ 85]، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم
بِٱللَّهِ﴾ [يونس: 84] الآية، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ﴾ [الكهف: 10]
الآية، ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: 109]
الآية، ﴿رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا﴾ إلى ﴿إِمَامًا﴾ [الفرقان: 65 ـ 74]، ﴿رَبَّنَا
وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ﴾ إلى ﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾ [غافر: 7ـ9]، ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ
عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ⑫﴾ [الدخان: 12]، ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا
وَلِإِخۡوَٰنِنَا﴾ إلى ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: 10]، ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا
وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ④﴾ [الممتحنة: 4]، ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ
وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ⑤﴾ [الممتحنة: 5]، ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ
لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ⑧﴾ [التحريم: 8]،
﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ①قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾
[الإخلاص: 1] إلى آخرها ثلاث مرات مع البسملة. ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ
ٱلۡفَلَقِ ①﴾ [الفلق: 1] إلى آخرها مع البسملة. ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ
ٱلنَّاسِ ①﴾ [الناس: 1] إلى آخرها مع البسملة، الفاتحة إلى آخرها
مع البسملة، ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ①ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ إلى ﴿تَكۡسِبُونَ﴾ [الأنعام: 1ـ3]، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ

﴿ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ إلى ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: 43]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم﴾ إلى ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: 9ـ10]، ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: 111] إلى آخرها، ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى ﴿أَبَدًا﴾ [الكهف: 1ـ3]، ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ﴾ [النمل: 59] الآية، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ إلى ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ [سبأ: 1ـ2]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: 1ـ2]، ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا﴾ إلى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 75] ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ إلى ﴿العاملين﴾ [الزمر: 74]، ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: 65] الآية، ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الجاثية: 36] الآية، ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ [الروم: 17] الآية، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ [الصافات: 180] الآية ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الأنعام: 54] إلى آخرها.

وقد ثبتت البسملة هنا في رواية المغيلي وسقطت في رواية الترمذي والفاسيين، فهذه الآيات والأدعية التي أشار إليها الشارح بأن الشيخ رضي الله عنه تارة كان يقرؤها وتارة يتركها أي على اختلاف الأحوال والأشخاص والأمكنة وانفساح الوقت وضيقه بالنسبة إلى الحاضرين لا بالنسبة إليه رضي الله عنه.

قال رضي الله عنه: (آلر) كذا في نسخة الترمذي من الفاسيين وهي الرواية المشهورة، وفي بعض النسخ (آلم) وعليها علامة الصحة (كهيعص حمعسق) قيل: أسماء للسور، وقيل لله تعالى، وقيل حروف مقطعة من كلمات على اختلاف فيه، وقيل إنها إشارة إلى صفات الأفعال، وقيل غير ذلك، وقيل هي من المتشابه فلا

تفسر، والله أعلم بمراده ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 112]، ﴿طه ① مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ② إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ③ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ④ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ⑤ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ⑥ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ⑦ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ⑧﴾ [طه: 1-8] ثم شرع رضي الله عنه بعد ذكره لهذه الآيات بالترتيب السابق في فتح أبواب الدعاء لنفسه ولمن على قدمه من السالكين على طريقته، فقال:

(اللهم) أي يا الله، وهو مجمع الدعاء كما روي عن الحسن البصري، وقال النضر بن شميل: من قال اللهم فقد دعاه بجميع أسمائه (إنك تعلم أني بالجهالة) التي هي خلو النفس من العلم الحقيقي (معروف) إذ هي من لوازم البشرية وهو توطئة للعذر في ارتكاب ما لا ينبغي من المخالفات (وأنت بالعلم) الكامل (موصوف) فلا يشذ من علمك شيء (وقد وسعت كل شيء) أي أحاط علمك بجميع ما ارتكبت (من جهالتي) أي جهلي (بعلمك) متعلق بوسعت (فسع ذلك برحمتك) وإحسانك وإمداداتك (كما وسعته بعلمك) والسعة تضاف مرة إلى العلم إذا اتسع وأحاط بالمعلومات الكثيرة وتضاف مرة إلى الإحسان وبسط النعم وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً﴾ وقد أشار الأستاذ إلى المعنيين والمقامين، ثم هذه السعة بالمعنى الثاني تصدق بالإيجاد ثم بالإمداد العام، وما نحن فيه طلب إمداد خاص، ثم مع كونه خاصاً مشروط فيه أن لا يكون، ثم أخص منه لتعليقه على وسع العلم وإحاطته كما قال الشارح، وهو ظاهر لكن قد يكون المراد من طلب هذا الإمداد سعة العبد في معارفه وأخلاقه بأن تكثر

علومه بالقدر الذي ينبغي، وتتسع أخلاقه بحيث لم يضيقها خوف الفقر وغبطة الحسد وغلبة الحرص وسائر الصفات، ولعل إلى هذا أشار في آخره أسألك الإيمان بحفظك إيماناً يسكن به قلبي من هم الرزق وخوف الخلق، فأشار أولاً بطريق التلميح وفي الآخر بطريق التصريح فتأمل.

(واغفر لي) ما جنته نفسي بجهلها ﴿إنك على كل شيء قدير﴾ وفيه إشعار بعجز العبودية واتساع أمر الربوبية واعتراف بالقدرة التامة لله عز وجل وهو خالص الإيمان (يا الله يا مالك) وهي الرواية المشهورة بإثبات الألف، وفي بعض النسخ يا ملك.

(يا وهاب) وإنما اختار هذه الأسماء الثلاثة لما في معانيها من الأسرار المناسبة للتوسل، فالله أعظم الأسماء لدلالته على الذات الجامعة للصفات الإلهية كلها حتى لا يشذ منها شيء، والمالك هو الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود ويحتاج إليه كل موجود، بل لا يستغنى عنه شيء في شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في وجوده، ولا في بقائه، بل كل شيء موجود منه أو مما هو منه، فكل شيء سواه فهو له مملوك في ذاته وصفاته، وهذا هو الملك المطلق والوهاب الذي يهب كل محتاج إليه لا لعوض وغرض عاجل ولا آجل (هب لنا من نعماك) بضم النون وألفه للتأنيث أي نعمتك قاله الشارح، ويروى بكسر النون ممدوداً، وفيه بناء فعل الطلب من مادة فعل المطلوب (ما علمت لنا فيه رضاك) هكذا في الرواية المشهورة، وفي نسخة: ما علمت أنه فيه رضاك، وفي نسخة الترمذي: ما علمته فيه رضاك.

قال الشارح: وفيه أنه تعالى يعلم مصالح عباده قبل وجودها إذ هو تعالى عالم بما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف

يكون، والرضى غير الإرادة على الأصح وهو من العبد عبارة عن اختياره ما اختاره الله تعالى، ويعبر عنه بترك الاعتراض، ومن الله عنه أن يراه مؤتمراً لأمره منتهياً عن نهيه.

(واكسنا) أي ألبسنا من كساه يكسوه، وضبطه بسكون الكاف وضم السين وقد يغلط هنا من لا دربة له بالتصريف (كسوة) أي لباساً أو المعنى حلنا حلية (تقنا) مجزوم بحذف الياء على جواب الدعاء وفي بعض النسخ تقينا بإثبات الياء على أن الجملة صفة لكسوة والمعنى تحفظنا (بها من) كل (الفتن) الكائنة (في جميع عطاياك) الظاهرة والباطنة فمن الظاهرة المال والأهل والولد والفتن الحادثة من هؤلاء شديدة الضرر على المؤمن، ومن الباطنة التوحيد وهو بحر لا ساحل له، وأوحاله كثيرة هي فتنة.

(وقدسنا) أي نزهنا، وفي نسخة هنا زيادة بها، وعزاها الشارح إلى خط الشيخ عبد النور العمراني (عن كل وصف) ذميم من صفات النفس (يوجب نقصاً) خفياً (مما استأثرت) أي اختصصت (به في علمك) القديم الأزلي (عمن سواك) فلم يطلع عليه (يا الله يا عظيم يا علي يا كبير) اختار هذه الأسماء الثلاثة بعد الجلالة لما في ضمن معانيها من الأسرار المناسبة لما يأتي من التوسل.

فالعظيم هو الذي جاوز حدود العقل حتى لم يتصور الإحاطة بكنه حقيقته.

والعلي هو الذي لا رتبة فوق رتبته، وجميع المراتب منحطة عنه.

والكبير هو ذو الكبرياء عبارة عن كمال الذات، وأعني بكمال

الذات كمال الوجود، وكمال الوجود يرجع إلى شيئين:

أحدهما: دوامه أزلاً وأبداً.

والثاني: أن وجوده هو الوجود الذي يصدر عنه وجود كل موجود.

وقال الشارح: هو تعالى العظيم في ألوهيته وعلوه عن كل علو لا يليق بذاته، والعلي في عظمته وكبريائه فوق كل عظمة وكبرياء لغيره، والكبير في علوه وعظمته لصغر كل شيء سواه، فهي أسماء متداخلة يسري معنى كل منها في الآخر بارتفاع الوصف إلى غاية ما أراد به، وقد قيل كل اسم سرى معناه في الأسماء فهو الأعظم، وذلك في الأسماء الحسنى سبعة أو ثمانية منها هذه.

(نسألك) كذا في الرواية المشهورة وفي نسخة أسألك وكذا ما بعده (الفقر) أي الفقد (مما سواك) سأل الكمال انقطاعه إلى الموصوف بكل كمال وبقطع العلائق التي تقطع الحق ليكمل شغله بمولاه (والغنى بك) عمن سواك حتى لا يخطر بباله شيء من آثار الغير به، وذلك عند قوة شغل القلب بالله وانقطاعه إليه، وإليه أشار بقوله: (حتى لا نشهد إلا إياك) باستيلاء سلطان الحقيقة على القلب فينمحي أثر الأغيار (والطف بنا فيهما) أي في حالتي الغنى بك والفقر عمن سواك (لطفاً علمته يصلح لمن والاك) أي أحبك وانقطع إليك، طلب من الله لطف الخاصة لا لطف العامة، أي اللطف الذي يصلح لأهل القرب والمحبة، ثم معنى اللطف هو العلم بدقائق المصالح وغوامضها ثم إيصالها إلى المستصلح على سبيل الرفق دون العنف، ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل إلا لله تعالى، ولما كان في حالتي الغنى به والفقر عن غيره غوامض ودقائق ليس

في قدرة العبد الإحاطة بعلمها ولا إيصال الرفق بها على ما ينبغي كما ينبغي أظهر العجز وطلب من الله الإعانة بحصول ذلك الإيصال إليه في كلتا الحالتين وإن كانت كل واحدة منهما لازمة للأخرى، فتأمل.

(واكسنا) تقدم ضبطه (جلابيب) جمع جلباب بالكسر وهو ما يغطى به من ثوب أو غيره (العصمة) أي الحفظ من الوقوع فيما لا ينبغي فلا اعتراض على الشيخ في استعمالها إذ معناها في مثل هذا المقام يؤول إليه مع جوازه في حق غير النبي ووجوبه في حق الملائكة على ما قرر في محله (في الأنفاس) جمع النفس محركة نسيم الهواء (واللحظات) جمع لحظة مد البصر عند انفتاح الأجفان، والمراد من ذلك استغراق عمر الداعي، ونظير هذا سيأتي له قوله: واكسنا من نورك جلابيب العصمة، وإلى هذا الاستغراق أشار في حزبه الموسوم بحزب البحر: نسألك العصمة في الحركات والسكنات والكلمات والإرادات والخطرات، والمراد عصمته في كل أحواله عن عين إبليس وجنوده، فلا يكون له ولهم إليه سبيل، أو عصمته من الشكوك والظنون والأوهام الساترة الغيوب كما صرح به في حزبه الآخر، وهذا أولى وأحسن ما فسر كلامه بكلامه ويحمل ما لوح به على ما صرح به وإن كان المآل في العبارتين إلى واحد عند التأمل الصادق، ثم هذا الطلب وما بعده كالتفصيل للإجمال لاندراج كل ذلك في طلب التقديس في الطلب الأول كما لا يخفى.

(واجعلنا عبيداً) من جموع العبد المشهورة (لك) لا لغيرك من المال والدنيا وأعراضها، بل والآخرة كذلك بالانقطاع الكلي والاستسلام (في جميع الحالات) من فقر وغنى وفقد ووجد وغير ذلك، والمراد اتصافه بكمال العبودية الذي هو مقام الإحسان على

ما يقتضي مقام الشيخ رضي الله عنه.

(وعلمنا من لدنك) أي من قبلك (علماً نصير) بإثبات الياء على أن الجملة صفة لعلما ولو قصد جواب الدعاء لجزمه (به) أي بسببه (كاملين في المحيا والممات) وفي نسخة: وبعد الممات، وكماله في الحياة العمل به على مقتضاه مع إفاضة أنواره على مقتبسيه، وفي الممات الوصول إلى الدرجة العلية في مقاعد الصدق وتعدى نفعه إلى من بعده فيقوم بذلك المقام على حد قول القائل:

أهيم بليلى ما حييت وإن أمت

أوكّل بليلى من يهيم بها بعدي

(اللهم أنت الحميد) أي المحمود بحمد نفسه أولاً وبحمد عباده له أبداً، فهو الحامد وهو المحمود (الرب) بمعانيه المذكورة في كتب اللغة من المالك والسيد والقائم بالأمر والمصلح والمربي، وكل من ذلك مناسب للمقام (المجيد) أي الممجد في ذاته وصفاته وأفعاله (الفعال لما تريد) لا يعجزك شيء ولا يقع حجز في أفعالك أو إرادتك، وفي هذه الصفات الأربعة (كذا) أسرار تتضمن مناسبة الإقبال في التوسل.

(تعلم فرحنا) أي سببه وفي نسخة: فرحي، وكذا ما بعده (بماذا) أي بأي شيء (ولماذا) أي لأي شيء (وعلى ماذا) أي على أي شيء، والمراد من ذلك بحصول الإفاضة ولتحقق الرضى وعلى المشاهدة التامة والعلم الكامل (وتعلم حزننا كذلك) أي نقائض ما ذكر، والفرح والحزن كلاهما من صفات السالكين كالبسط والقبض، ولهم في كل ذلك أحوال متفاوتة بحسب الواردات ومقتضى مقام الشيخ رضي الله عنه على ما ذكر في ترجمته البسط

الممزوج بالقبض والفرح الموصل بالحزن.

(وقد أوجبت كون) أي سبق قدرك بنفوذ (ما أردته) من أحكامك (فينا) وأفعالك الصادرة (منا) خيراً كانت أو شراً بالنسبة إلينا وإيجاب الله ذلك من حيث إن مراده لا بد أن يكون.

(ولا نسألك) أي لا نطلب منك (دفع ما تريد) أي تبديل ما أردت لاستحالة وقوع ما لا تريد (ولكن نسألك التأييد) أي الإعانة والتقوية والرشد والتسديد، وهذه المعاني مفهومة من لفظ التأييد. باختلاف مواقعها، فالإعانة للأسباب الخارجة، والتقوية للباطنة، والرشد لحصول السعادة، والتسديد لتيسير الحركات إلى صوب المطلوب، ويقرب منه لفظ العصمة (بروح) أي نور (من عندك) والمراد به الإلقاء الرحماني بطريق الفيض ولو أن بين إلقاء وإلقاء مسافات (إنك على كل شيء قدير اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك) أي تتولى فصل القضاء بينهم إذ يرجعون إليك.

(فهنيئاً لمن عرفك) حق معرفتك بالأسماء والصفات والأفعال وصبر على أحكامك من النعم والبلايا، وإليه الإشارة بقوله: (فرضي بقضائك) أي ابتهج قلبه به، والرضى بالقضاء من ثمرات المعرفة الحقيقية كما يلوح إليه كلام الشيخ، وهو من أعظم أركان الإيمان الكامل، ونهاية مقام التوكل (والويل) أي الخسران (لمن لم يعرف) بالوحدانية، ولم يقرّ بنعمك (بل الويل ثم الويل) والتكرار للمبالغة في الخسران (لمن أقرّ بوحدانيتك) بتشديد الياء أي بتوحيدك الذاتي والصفاتي والأفعالي (ولم يرض بأحكامك) أي ولم ينقد لها بحسن الاستسلام، فكان مخالفاً لمقتضى الإقرار فلذلك استحق بتكرار الخسران والحسرة عليه.

(اللهم إن القوم) أي الجماعة من المقربين في الحضرة (قد حكمت عليهم بالذل) أي بالضعف وانكسار النفس، وذلك في بدايات سلوكهم ومستأنف سيرهم (حتى عزوا) أي أورثهم ذلك الذل عزاً ومنعة أي لما قهرتهم بذل أنفسهم الذي هو من خواص العبودية تطهروا وتكملت مزاياهم عند تحققهم بوصف العبودية، وتخلقوا بأوصاف العز والقوة التي هي من أوصاف الربوبية (وحكمت عليهم بالفقد) أي سلبت عنهم وصف الأنانية والكبر والملاحظة للغير، وذلك في أقصى سلوكهم (حتى وجدوا) مطلوبهم، وهو الإشارة إلى مقام فناء الفناء الذي هو الاستهلاك الكلي المعبر عنه بقوله: موتوا قبل أن تموتوا، فالفاقد هنا هو الواجد والناظر لنفسه هو الفاقد المفقود.

(فكل عزّ يمنع دونك) أي دون معرفتك أو دون وصالك (فنسألك) وفي نسخة: أسألك، وكذا ما بعده (بدله ذلا) يورثنا مقام العزّ الحقيقي، ثم وصفه بقوله (تصحبه لطائف رحمتك) أي رقائقها، ومنها الاختصاص برفع الحجاب (وكل وجد) من المواجيد التي تستحلى ويقف عندها السالك مما (يحجب) ويمنع (عنك) أي عن الوصول إليك أو عن مقام المشاهدة التي طلبها أولاً (فنسألك عوضه) هكذا في نسخة الترمذي، وهي الرواية المشهورة. وفي بعض نسخ الفاسيين وعند المغيلي أيضاً عوضاً منه (فقداً) أي سلباً لتلك الأحوال الحاجبة والمقامات المانعة، ثم وصفه بقوله (تصحبه أنوار محبتك) التي منها الاختصاص بالقرب، وهو أخص من مقام لطائف الرحمة لتعلق الرحمة بعموم النعم وتعلق المحبة بخصوصها، وفي تقييد الرحمة باللطائف والمحبة بالأنوار إشارة دقيقة يفهم منها الفرق بين المقامين (فإنه قد ظهرت السعادة) الكاملة، أي لاحت

أنوارها (على من أحببته) فكنت سمعه وبصره وعينه ويده ورجله فارتفعت عنه الموانع والحواجب (وظهرت الشقاوة) وهي أنواع وأعظمها الحجب عن نيل المطلب الأعلى (على من غيرك ملكه) سواء كان ذلك الغير حالاً أو مقاماً.

(فهب لنا) أي أعطنا (من مواهب السعداء) أي من الفيوضات التي وهبتها ابتداء لأوليائك المقربين المستعدين بحسن الوصول إليك (واعصمنا) أي احفظنا (من) وفي نسخة عن (موارد الأشقياء) الذين وقفوا على حال أو مقام استحلوه واستهوتهم الأمارات في تيه الخسران والحيرة.

ولما طلب الشيخ هذا المطلب العظيم الذي لا يناله إلا كل من سبقت له العناية من الأزل رجع إلى وصف العبودية والإقرار بالذل والانكسار والالتجاء بالافتقار إليه ليفتح له الباب وليسمع الخطاب، فقال:

(اللهم إنا قد عجزنا) وفي نسخة: اللهم إني قد عجزت وكذا ما بعده إلى آخر الحزب للمتكلم وحده أي اتصفنا بالعجز الحقيقي واعترفنا بأنا عاجزون عن كل شيء وفي كل شيء وخصوصاً (عن دفع) موارد (الضر) والهلاك وما يتسبب إليهما (عن أنفسنا من حيث نعلم بما نعلم) أي من حيث هو معلوم لنا ذاتاً وسبباً فلا يمكننا التحرز منه (فكيف) هكذا في نسخة الترمذي وهي الرواية المشهورة، وفي بعضها: وكيف (لا نعجز عن ذلك) أي عن دفاع موارد الضرر (من حيث لا نعلم بما لا نعلم) أي أن العاجز عن دفع معلوم الذات والسبب أعجز عن دفع مجهولهما (وقد أمرتنا) على لسان رسولك ﷺ بالأوامر (ونهيتنا) عن أشياء وهما شرعيان أو أن المراد بالأمر الإلقاء الخاص بواسطة وغيرها والنهي عن ملاحظة السوى (والمدح

والذم ألزمتنا) أي عرفتنا سبيل ما يمدح وهو التوفيق للامتثال وما يذم وهو عدمه (فأخو الصلاح) أي المتصف به (من أصلحته) ووفقته (وأخو الفساد من أضللته) عن طريق الرشد (والسعيد حقاً) أي حتماً بلا خلاف (من أغنيته) بأن أمددته بما احتاج إليه (عن السؤال) أي الطلب (منك) بأن قطعت عنه أصل الحاجة، فإن الذي يحتاج ومعه ما يحتاج إليه فهو غني مجازاً، وهذا هو الذي أشار إليه الشيخ (والشقي حقاً من حرمته) أي جعلته محروماً ممنوعاً من وصوله إلى مطلوبه (مع كثرة السؤال لك) والطلب منك.

وحاصله: أن مدار السعادة على الجمع على الله والغيبة عن سواه، فيفنى العبد عن وجوده، ويبقى بربه، فيشغله استغراقه في شهوده عن الشعور بالغير، وينمحي منه أمل شيء يرجى أو خوف شيء يتقى فحينئذ لا يتصور منه سؤال ولا فوات مأمول كما نقله الشارح، أو أن المراد بالسعيد من كمل رضاه بما يجريه عليه مولاه، فاستغنى عن الدعاء بحسن اختيار مولاه له فيما أمضاه حتى لو دعاه لكان مجاباً، لأنه ليس مع اختيار نفسه ومن لم يكن تاركاً لاختيار نفسه راضياً باختيار الحق له فلا يكون مجاباً، ويكون دعاؤه مردوداً عليه، وهذا مقام جليل بنى عليه الشيخ طريقته ولا اعتراض عليه رضي الله عنه، فإنه لا ينكر أصل الدعاء، فتأمل.

(فأغننا بفضلك عن سؤالنا منك) أي تجلّ علينا باسمك الغني وأمددنا بما نحتاج إليه لنتحلى بحلية هذا الاسم الشريف، فالغني إذا أغنى عبده عن احتياجه لما سواه يسمى بهذا الاعتبار غنياً، وهذا سؤال طلب به الكف عن السؤال (ولا تحرمنا) بفتح التاء وكسر الراء من الثلاثي وهي اللغة الفصحى ويصح من الرباعي أي ولا تمنعنا (من رحمتك) التامة العامة، وتمامها إفاضة الخير على المحتاجين،

فإرادته لهم عناية بهم، وأما عمومها فتناولها للمستحق وغيره والحاجات والمزايا الخارجة عنها (مع كثرة سؤالنا لك) ومنك، فربما يكون في كثرة الطلب مع الإلحاح فيما لا يوافق رضاه نقصاً في المقام، فطلب أن تشمله الرحمة التي هي توصف بالعموم والتمام، من غير ملاحظة إلى حال أو مقام (إنك على كل شيء قدير) كالتوكيد للمعنى الحاصل على سؤال ما سأل.

(يا شديد البطش) أي الأخذ بعنف (يا جبّار) هو الذي لا يخرج أحد عن قبضة حكمه (يا قهار) هو الغالب الذي لا يغلب (يا حكيم) وهذا الاسم سقط من أصل المغيلي، ومعناه المحكم للأشياء حتى صدرت متقنة وعلى وفق علمه وإرادته وقدرته وقضائه، وهذه الأسماء الأربعة تناسب معاني بعضها ببعض (نعوذ بك من شر ما خلقت) من المعاني والذوات (ونعوذ بك من ظلمة ما أبدعت) أي اخترعت لا على مثال سابق (ونعوذ بك من كيد النفوس) الشهوانية الأمارة أي مكرها، وفي أصل الترمذي من شر النفوس (فيما قدرت وأردت) من الأزل (ونعوذ بك من شر الحساد) جمع حاسد وهو متمني زوال نعمة الغير (على ما أنعمت) من الفيوضات والمواهب، وإنما استعاذ من شرهم امتثالاً لما في كتاب الله، وإذ هو من طبع الشر، وكل أحد يعرض له منه شيء إلا من عصم، فإذا استحكم في القلب نشأ عنه شر عظيم، ولذا أعقبه بعد الاستعاذة من كيد النفوس، وإن قلنا إنه فرع الحقد فيكون من باب التخصيص بعد التعميم.

(ونسألك عز الدنيا والآخرة) وقد فسر بعد (كما سألك) وفي نسخة كما سألكه بإثبات الضمير، وهي الرواية المشهورة (نبيك محمد ﷺ) وفي بعض النسخ: كما سألك سيدنا محمد عبدك

ونبيك، وقد جاء السؤال بذلك في عدة أحاديث مع التعوذ من الذل (عزّ الدنيا بالإيمان) الكامل (والمعرفة) التامة على قدر المقام (وعزّ الآخرة باللقاء) وهو اجتماع بإقبال، وفي أصل المغيلي بالبقاء وهو أيضاً صحيح في المعنى (والمشاهدة) أي شهود جمال الحق سبحانه برفع الحجاب، وما ذكره الشارح هنا في معنى المشاهدة كله فيما يقع للسالك في حال سلوكه، لا مشاهدة الآخرة، فتأمل. (إنك سميع) للدعاء (قريب) من الداعي (مجيب) دعوته، ولما كان المطلوب الذي هو العز الدائم في النشأتين عظيماً ذكر هذه الأسماء الثلاثة مخاطبا ربه بها استنزالاً للإجابة وتدرجاً به إلى التحصن بأعظم آية في كتاب الله فقال:

(اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس) من أنفاس المخلوقات (ولمحة) من لمحاتهم (وطرفة) وكل منهما من العين (يطرف بها) أي ويلمح بها أيضاً (أهل السماوات وأهل الأرض) وفي بعض النسخ: والأرض (وكل شيء) هو بالجر معطوف على كل قبله المجرور بإضافة يدي إليه، قال الشارح نقلاً عن المحشي: هكذا بجر كل رآه بخط عبد النور العمراني (هو في علمك كائن) في الحال أو الاستقبال (أو قد كان) فيما مضى، وهذه الجملة صفة شيء وأجمله لعجزه عن إحصاء أفراده (أقدم إليك بين يدي ذلك كله) كرره للتأكيد والتبيين، والمعنى اجعل هذه الآية الكريمة الآتي ذكرها المشتملة على جلال الله ونعوته وتوحيده الصرف مقدمة بين يدي كل ما ذكر من الأنفاس واللمحات والطرفات، فتكون حصناً لي مانعاً وحرزاً وافياً من شر كل ذي شر وكيد كل كائد، هذا ما استفدناه من مشكاة صدور العارفين، ونظائر هذا كثيرة في أحزاب القوم وأورادهم في التحصن بآيات الله تعالى.

وقال الشارح: معناه أقرّ واعترف بتقديم ألوهيتك الموصوفة بالصفات المذكورة من الحياة وما بعدها، ومحصله الشهادة بأوليته وأزليته وسبقيته على كل شيء من المكنونات إلى آخر ما قاله، ونقله عن «نوادر الأصول»، وكذا قوله فيما بعد ويظهر حمله على معنى تقديم الشفاعة، أي أقدم إليك شفاعات على عدد ما ذكر، ويقرب من ذلك أيضاً قوله فيما بعد، أو بمعنى أقدم إليك بين يدي كذا أنت وصفاتك أي لا أقدم شفيعاً لديك إلا أنت حتى لا يكون لي واسطة في الاستشفاع غيرك، وهذا الوجه وإن كان أقرب من الأولين، لكن انظره مع السياق والسباق وتأمل ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: 255].

وقد سبق الشيخ رضي الله عنه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» فأخرج حديثاً بسنده: لقي جبريل موسى عليهما السلام فقال جبريل: إن ربك يقول: من قال دبر كل صلاة مكتوبة مرة واحدة: اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة وطرفة إلى العلي العظيم، فإن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا ويصعد إليّ منه سبعون ألف ألف حسنة حتى ينفخ في الصور وتشتغل الملائكة(1) بذلك.

---

(1) قال: وقد سبق الشيخ رضي الله عنه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» فأخرج حديثاً بسنده: لقي جبريل موسى عليهما السلام، فقال جبريل: إن ربك يقول: من قال في دبر كل صلاة مكتوبة مرة واحدة: «اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة [ولحظة] وطرفة [يطرف بها أهل

ولعل الشيخ راعى هذا الفضل الكثير فأدرج هذا السياق في «حزبه».

قال الشارح: ولما ترى من انطواء هذه الآية الكريمة على أمهات المسائل الإلهية، المتعلقة بالذات العلية والصفات الجلية، فإنها ناطقة بأنه تعالى موجود منفرد بالألوهية، متصف بالحياة واجب الوجود لذاته، موجد لغيره، منزّه عن التحيّز والحلول، مبرّأ عن التغير، لا مناسبة بينه وبين الأشباح، ولا يعتريه ما يعتري النفوس والأرواح، مالك الملك والملكوت، ومبدع الأصول والفروع، ذو البطش الشديد، لا يشفع عنده إلا من أذن له في ذلك، عالم بجميع الأشياء جليها وخفيها، كليها وجزئيها، واسع الملك والقدرة لكل من شأنه أن يملك، لا يشق عليه شاق، ولا يشغله شأن عن شأن، متعال عما تناله الأوهام، عظيم لا تحدق به الأفهام، تفردت بفضائل رائقة، وخواص فائقة، خلت عنها أخواتها.

ثم ساق أربعة أحاديث في فضلها، وقد وردت عدة أحاديث في فضلها وفضل من قرأها، أخرجها السيوطي في «الجامع الكبير» ليس هذا محل بسطها[1].

= السماوات وأهل الأرض، وكل شيء هو من علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدي ذلك كله الله لا إله إلا هو الحي القيوم إلى آخرها] فإن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا يصعد إلي منه سبعون ألف ألف حسنة حتى ينفخ في الصور وتشتغل الملائكة.
نوادر الأصول، الأصل الخامس والخمسون والمائتان 3/ 267.

(1) ثم ساق أربعة أحاديث في فضلها، وقد وردت عدة أحاديث في فضلها وفضل من قرأها، أخرجها السيوطي في الجامع الكبير: ليس محل بسطها.

(أقسمت عليك) أي سألتك، قال الشارح: والإقسام لا يستعمل في السؤال إلا مشعراً بالاستشفاع، وحينئذ فيتعدى بعلى، فإذا استعمل في اليمين المطلق تعدى بالباء، قال: وقد حمل المحشي القسم بصفات الله تعالى على الحقيقة قال: وهو خاص بالمحبوبين المدلين على الله كما يشير إليه حديث: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»، (ببسط يديك) هو كناية عن جوده وكثرة إنعامه كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: 64]، (وكرم وجهك) قد يكون المراد من الوجه الذات فيكون المعنى: أي كرم ذاتك كما في قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمان: 27] وحينئذ فالمراد بالكرم سعة العطاء أو المراد من وجهه تجليه الذاتي لخواص عباده، وكرمه جماله وكماله، وإليه يومىء كلام الشارح (ونور عينيك) هكذا بالتثنية في الرواية المشهورة، وفي بعضها بالإفراد، والمراد به إدراك البصر وكمال انكشاف المرئيات كما قاله الشارح، أو المراد شدة ظهوره في تجليه الذاتي، وعلى رواية الإفراد قد يكون نور العين نور الذات، وسيأتي له: بنور ذاتك (وكمال أعينك) أشار به إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: 48] وفسروه بمعنى أنك بمرأى منا أي محفوظ (أن تعطينا خير ما نفذت) أي جرت (به مشيئتك) أي عنايتك السابقة لإيجاد المعدوم أو إعدام الموجود (وتعلقت به قدرتك) من جميع الممكنات (وما أحاط به علمك) أي أدركه بكماله ظاهراً وباطناً (واكفنا شر ما هو ضد لذلك) أي لكل مما ذكر من الأنواع الثلاثة (وأكمل ديننا) بزيادة الرسوخ فيه وبالتمكن من معرفة السلوك إلى الله (وأتمم علينا نعمتك) بإدامتها واتصالها بنعم الجنة فلا يعتريها نقص ولا نفاد، وإنما اختار الإكمال في الأول والإتمام في الثاني مراعاة لما في الآية الكريمة:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: 3] وقد ذكر الحر إلى أن الإكمال بلوغ الشيء إلى غاية حدوده في قدر أو عدّ حساً أو معنى والإتمام التوفية لما له صورة تتميم من أجزاء وآحاد.

(وهب لنا) أي أعطنا بطريق الهبة والفيض ابتداء (حكمة الحكمة البالغة) أي خلاصتها وهي الإصابة في الأمور والعلم المؤدي إلى العمل، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ [القمر: 5] ووصفها بالبلوغ لانتهائها إلى أقصى المقصد أو أن المراد بتلك الحكمة الإلهية التي هي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه، والعمل بمقتضاها علماً وعملاً (مع الحياة الطيبة) بالرضى عن أحكام الله مع كمال الخشية والخوف وتحقق الخلافة المعنوية والتمكين في الأرض على حسب المراتب واختلاف المقامات (والموتة الحسنة) هي المصحوبة بالتجلي، وقد أجاب الله سؤاله في كل منها على ما يعرف من حاله ومآله.

(وتولَّ قبض أرواحنا) عند المفارقة من هذه الدار (بيدك) أي من غير واسطة، وكأنه أشار بذلك إلى ما أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن زيد المروزي معضلاً: «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة كان الذي يتولى قبض روحه ذو الجلال والإكرام، وكان كمن قاتل عن أنبياء الله ورسله حتى يستشهد»[1].

---

(1) قال: وكأنه أشار بذلك إلى ما أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن زيد المروزي معضلاً: «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة كان الذي يتولى قبض روحه ذو الجلال والإكرام، وكان كمن قاتل عن أنبياء الله ورسله حتى يستشهد».
لم أقف عليه في نوادر الأصول، وورد في كنز العمال تحت رقم 2567.

وأخرج ابن السني والديلمي عن أبي أمامة رفعه: «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة كان الرب يتولى قبض روحه بيده وكان بمنزلة من قاتل عن أنبياء الله عز وجل حتى يستشهد»[1].

وأخرج الخطيب عن ابن عمر: «من قرأ آية الكرسي لم يتول قبض نفسه إلا الله تعالى»[2]. وهذه فيه إشارة إلى كمال الاعتناء وشدة القرب منه بالعلم والمعرفة.

(وحل بيننا وبين غيرك) بالغيبة عن الوجود والاستغراق في نور الشهود (في البرزخ) وهو العالم المشهور بين عالمي المعاني المجردة والأجسام المادية (وما قبله وما بعده) من العالمين المذكورين، ومن حيل بينه وبين الغير في تلك العوالم الثلاث فقد فاز، فكأنه طلب الفوز والسعادة الكبرى في حيلولته بينه وبين الأغيار في مبدئه وأوسطه ومنتهاه (بنور ذاتك) أي بتجلي ذاتك

(1) قال: وأخرج ابن السني والديلمي عن أبي أمامة رفعه: «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة [مكتوبة] كان الرب يتولى قبض روحه بيده، وكان بمنزلة من قاتل عن أنبياء الله عز وجل حتى يستشهد».
قلت: رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة 123، وضعفه الألباني في الصحيحة 2/ 699.

(2) قال: وأخرج الخطيب عن ابن عمر: «من قرأ آية الكرسي لم يتول قبض نفسه إلا الله تعالى».
قلت: رواه الخطيب في تاريخ بغداد 6/ 173، من طريق محمد بن كثير بن مروان الفهري عن عبد الله بن لهيعة عن أبي قبيل عن عبد الله بن عمرو نحوه.
وهذا إسناد ضعيف، محمد بن كثير بن مروان الفهري، قال ابن معين: ليس بثقة. وأساء الثناء عليه البغوي، وقال ابن عدي: روى بواطيل والبلاء منه. ميزان الاعتدال 6/ 313د.

المقدسة (وعظيم قدرتك) الباهرة (وجميل فضلك) العميم (إنك على كل شيء قدير) كالتوكيد للمعنى الحامل على سؤال ما سأل.

(يا الله يا علي يا عظيم يا حليم يا حكيم يا كريم يا سميع يا قريب يا مجيب يا ودود) هذه عشرة أسماء ذكرها في السياق على هذا الترتيب، وقد سقط يا حكيم من بعض النسخ، وهو موجود في أصل الترمذي وصححه، وسقط يا كريم من بعض النسخ وهو موجود في الرواية المشهورة، فالعلي والعظيم مرتبطان بالبعض كالثلاثة التي بعدهما، والودود هو المنعم على الخلق على سبيل الابتداء، ولعل ذكره بعد المجيب لمناسبة أن المجيب هو الذي ينعم قبل النداء، ويتفضل قبل الدعاء فبينهما مناسبة روحانية، فهو كالتوكيد لما قبله (حل بيننا وبين فتنة الدنيا) طلب من الله تعالى أولاً الحيلولة بينه وبين غيره وهو شامل لما يذكره فيما بعد، وكأنه أراد التخصيص بعد التعميم، وقدم فتنة الدنيا لاشتمالها على سائر الفتن، ثم خصص من هذا العموم تخصيصاً آخر فقال: (والنساء) وفتنتهن من أعظم الفتن الدنيوية، فإنهن يستولين على قلوب الرجال بشهواتهن، إلا من عصم.

وقد سألتني زوجتي أم الفضل عصمها الله بستره حين وصلت في قراءة هذا الحزب معي إلى هذه اللفظة عن معناها بالنسبة إليهن فقلت: لعل المراد منهن السواحر والدجالات واللاتي يمشين بالنميمة والإفساد والله أعلم.

ثم جعل كلا من الفتنتين أصلين هما المسبب وذكر سببهما باللف والنشر المرتب فقال: (والغفلة والشهوة) فالغفلة سبب الافتتان في الدنيا، كما أن الشهوة سبب الافتتان بالنساء، ثم جعل السببين المذكورين هما السبب وذكر سببهما فقال (وظلم العباد) فإنه

يتسبب عنهما، والظلم مجاوزة الحد أو وضع الشيء في غير محله بنقص أو زيادة أو عدول عن زمنه، ويقال في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة (وسوء الخلق) وهو أيضاً يتسبب عن الغفلة والشهوة لكونه فرعاً عن الغضب والغضب فرع عن الشهوة والغفلة لازمها، وإنما طلب الحيلولة منه لكونه ليس من سجايا الإيمان (واغفر لنا ذنوبنا) دقها وجلها (واقض عنا تبعاتنا) جمع تبعة بكسر الموحدة وضمها أي ما تطلبته من ظلامة ونحوها من حقوق العباد عسى أن وقع فيها قبل سؤال الحيلولة، وخص التبعات بعد ذكر الذنوب اهتماماً بشأنها لتعلق حق الخلق بها (واكشف عنا السوء) وهو كل ما يغم من الأمور الدنيوية والأخروية ومن الأحوال النفسية والبدنية والخارجية من فوت مال وفقد حميم (ونجنا من الغم) أي الحزن والكرب في سائر الأحوال والأطوار وفي هاتين الجملتين إشارة إلى المقامين:

الأولى: إلى مقام يوسف عليه السلام حيث قال: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: 53] الآية.

وفي الثانية: إلى مقام أيوب عليه السلام حيث قيل في حقه: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [الأنبياء: 88].

(واجعل لنا منه) أي من ذلك الغم (مخرجاً) حسنا، وسيأتي الإشارة إليه في آخر الحزب حيث ذكر الأنبياء عليهم السلام، ويوجد في بعض النسخ المعتبرة فرجاً قبل مخرجاً (إنك على كل شيء قدير) تقرير لاختصاصه تعالى بإيجاد مطالبه المسؤولة.

(يا الله يا الله يا الله) ثلاث مرات كرره التذاذاً به أو بالنظر إلى الأزمنة الثلاثة أو اعتباراً للعوالم الثلاث الجسم والقلب والروح (يا

لطيف) تقدم ذكره (يا رازق) وهو الممد لكل كائن بما يحفظ به صورته ومادته (يا قوي) هو القادر البالغ القدرة التامة (يا عزيز) هو الغالب القاهر لجميع الممكنات وهي أربعة أسماء، وإيرادها على هذا الترتيب لمناسبة خفية بين معانيها.

ثم ذكر تفصيل ما أجمل في معاني تلك الأسماء من العزّة والقوة والرزق واللطف فقال: (لك مقاليد السماوات والأرض) أي مفاتيحها، وذلك دال على كمال عزته وقوته.

ثم أشار إلى سر معنى الرزق واللطف فقال: (تبسط) أي توسع (الرزق) بقسميه الصوري والمعنوي، فالصوري ما تقوم به الأجسام، والمعنوي ما تقوم به الأرواح. وإلى الأول الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت: 10]، وإلى الثاني الإشارة بقوله: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات: 22]، وأعلى منازل الرزق المعنوي ما يظهر به عين وجود الحق الساري في صور أحكام الممكنات الظاهر في مظاهر أعيان الكائنات (لمن تشاء) أي على من تشاء من عبادك (وتقدر) أي وتضيقه على من تشاء (فابسط لنا) أي وسع علينا (من الرزق) الصوري والمعنوي (ما توصلنا) من الإيصال وهي الرواية المشهورة، أو من التوصيل وهو جائز أيضاً (به) أي بسببه (إلى) التخلق بصفة (رحمتك ومن رحمتك) بأن يرزقه علماً هادياً ولساناً مرشداً معلماً، ويداً منفقة متصدقة، فيكون سبباً لوصول الأرزاق الشريفة إلى القلوب بأقواله، ووصول الأرزاق إلى الأبدان بأفعاله وأعماله، وإذا أحب الله عبداً أكثر حوائج الخلق إليه، وهذا حظه من اسم الرزاق والرحيم.

ولما كانت الرحمة قد تصل إلى المرحوم وفي طيها نقمة، قيد سؤاله فقال: (وما تحول به بيننا وبين نقمتك) كذا في الرواية

المشهورة، وفي بعض النسخ: بين نقمتك على لفظ الجمع (ومن حلمك) الذي هو عدم المسارعة بالانتقام، عمن عصى مع كمال الاقتدار (ما يسعنا به عفوك) أي يدركنا ويصل إلينا أو يعمنا، أي نكون ممن سبقت له العناية، وإنما ذكر العفو دون الرضى لأن المقام يقتضي نسبة النفس إلى التقصير، والحكم عليها باستحقاق العقوبة، والعفو هو التجاوز عن الذنب (واختم لنا بالسعادة) وهي معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير، ويراد بها هنا الإيمان الكامل (التي ختمت بها لأوليائك) أي خواص أحبابك (واجعل خير أيامنا وأسعدها) أي أكثرها سعادة (يوم لقاءك) أي مشاهدتك والإقبال عليك في الفردوس الأعلى أو يوم مفارقة العالم الجسماني، ويكون المراد باللقاء الموت (وزحزحنا) أي أبعدنا (في) دار (الدنيا عن نار) أي عن قوة (الشهوة) النفسية الحاجبة عن نور المعارف، وهي في الدنيا ضربان: صادقة وكاذبة، فالصادقة ما يختل البدن بدونه كشهوة الطعام للجوع، والكاذبة ما لا يختل بدونه (وادخلنا بفضلك) وكرمك (في ميادين الرحمة) أي محال العطايا وإفاضة الخير على المحتاجين (واكسنا) تقدم ضبطه (من نورك) المفاض على خلقك (جلابيب العصمة) أي أستار الحفظ والصون عن الوقوع في مهاوي الظلمات فلا نسلك إلا سبيل الطاعة (واجعل لنا ظهيراً) أي معيناً على طاعتك (من عقولنا) أي شاهداً عدلاً على كل ما في الملك (ومهيمناً من أرواحنا) وكلاهما يرجعان إلى كشف البصيرة فإن به تدرك حقائق الأحوال، وتحصل الإعانة والإشراف (ومسخراً) أي باعثاً على الطاعة (من أنفسنا) ولما كانت الإعانة على الطاعات تنشأ عن القوى المهيئة لإدراك الكليات والجزئيات، وهي من وظائف العقول خصها بالظهير والإشراف على الحقائق من

خصائص الأرواح خصها بالهيمنة والإجراء على مقتضى غرض ما يسخر من خصائص النفوس، خصها بالتسخير فقد خص كلا من العقل والروح والنفس بما يلائمها.

واختلف في هؤلاء الثلاثة فقيل: إنها مشتركة بين مسميات مختلفة، فالعقل يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور، فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب، ويطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب، والروح هي اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان، والنفس توصف بأوصاف مختلفة فتارة تسمى المطمئنة، وتارة اللوامة، وتارة أمّارة، ولها أوصاف أُخر ذكرناها في شرح حديث أم زرع: «كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً»[1].

أتى الشيخ بهذه الآية للتبرك لأن موسى عليه السلام كان سأل ربه معيناً لنفسه على طاعته وجعل سؤاله علة في التسبيح والذكر الكثيرين فأجيب بـ: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 36] وبما بعده من الامتنان (إنك كنت بنا بصيراً) وحيث سأل الشيخ من ربه معيناً قرن ذلك بهذه الآية رجاء أن يؤتى سؤله كما أوتيه موسى عليه السلام.

(وهب لنا مشاهدة) وهي فيض نور الجلال والجمال فيرى ببصيرته حقائق سائر الموجودات ودقائقها بلا توهيم ولا تلبيس (تصحبها مكالمة) أي محادثة، وهي الإلهام بأن يقع في نفسه وقوعاً لا يمكن تكذيبه، ولا يصح رده، ولا يصحبه هوى، ومصاحبة

(1) قال: ولها أوصاف أخر ذكرناها في شرح حديث أم زرع.
قلت: حديث أم زرع رواه البخاري 4893 ومسلم 2448 من حديث عائشة. وهو حديث كثير الفوائد والعوائد، أفرده بالشرح الكثيرون منهم القاضي عياض، والشارح رحمهما الله تعالى.

المكالمة للمشاهدة مختص بأهل الكمال من الأولياء، والشيخ منهم، والغالب من أحوالهم انفراد أحدهما أو تعاقبهما، وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمان: 46] قيل: جنة المشاهدة وجنة المكالمة (وافتح أسماعنا) لتلقي لذيذ مناجاتك (وأبصارنا) لمشاهدة أنوار جمالك (واذكرنا) عندك (إذا غفلنا عنك) أي ابتلينا بالغفلة عن ذكرك أحياناً (بأحسن مما) كذا في الرواية المشهورة، وفي بعض النسخ بأحسن ما (تذكرنا به إذا ذكرناك) وهذا مقام من سبقت له العناية من الأزل (وارحمنا إذا عصيناك) بارتكاب المخالفات أحياناً (بأتم مما) كذا في الرواية المشهورة، وفي بعض النسخ بأتم ما (ترحمنا به إذا أطعناك) وبين المقامين تفاوت بالنظر إلى الظاهر، وهما واحد عند التأمل الصادق، فإن المذكور عنده مع غفلة مرحوم في كل أحواله إلا أن يراد من أنواع الرحمة عمومها وشمولها للمستحق وغيره، ولعله لاحظ ذلك فأعقبه بقوله (واغفر لنا ذنوبنا) إذ عموم رحمته غير مستلزم للمغفرة (ما تقدم منها وما تأخر) نظراً إلى حالتي التحقيق والإمكان تهذيباً للنفوس واتهاماً لها، وقد يكون التقدم والتأخر بالنسبة إلى القرب والبعد من زمن الحال بأن يراد ما تقدم فنسيناه، وما تأخر فذكرناه، فيكون زمن كل منهما متقدماً.

(والطف بنا) أي ارفق بنا (لطفاً) أي رفقاً وبرّاً يستوليان على القلب بانجذابه إليك بحيث (يحجبنا) أي يسترنا (عن غيرك) فلا يخطر أصلاً (ولا يحجبنا عنك) بل يرينا كمال تجليك من غير حائل، ولما كان من جملة معاني اللطف العلم بدقائق المصالح وغوامضها وما دق منها وما لطف، أعقبه بقوله (فإنك بكل شيء عليم) لسريان صفة العلم في صفة اللطف، ثم أعقبه بما جاء في

الحديث: أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت فدلني على أقرب الطرق إلى الله تعالى، فقال له: «لا يزال لسانك رطباً بذكر الله؟»[1]، فقال:

«اللهم إنّا نسألك لساناً رطباً» أي ليناً سهلاً (بذكرك) فهو أقرب الطرق إلى الله تعالى، ومنه تصح البداية لمريد فتح الباب، وإذا سلم ذكر اللسان من عوارض الرياء فهو أفضل من ذكر القلب عند قوم، وقد ورد في فضله أحاديث كثيرة مذكورة في مواضعها[2].

وجاء في بعض الأحاديث: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ ما يتخذ ذخرة؟ فقال: «اتخذ لساناً رطباً بذكر الله وقلباً شاكراً»[3]، فلاحظ الشيخ ذلك فقال: (وقلباً منعماً بشكرك) وهو ظهور أثر النعمة على لسان العبد ثناء واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه طاعة وانقياداً. وإنما خص القلب هنا مراعاة لما في الحديث وتنويهاً على ما ينتج منه، ولما رأى الشيخ أن ظهور أثر النعمة على اللسان المذكور في حد الشكر قد تداخل في حد ذكر

---

(1) قال: ثم أعقبه بما جاء في الحديث أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت، فدلني على أقرب الطرق إلى الله تعالى، فقال له: لا يزال لسانك رطباً بذكر الله».
قلت: رواه الترمذي 3435، وابن ماجه 3793، وأحمد 17648، وغيرهم من حديث عبد الله بن بسر. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(2) قال: وإذا سلم اللسان من عوارض الرياء فهو أفضل من ذكر القلب عند قوم، وقد ورد في فضله أحاديث مذكورة في مواضعها.

(3) قال: وجاء في بعض الأحاديث أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ ما يتخذ ذخرة فقال: «اتخذ لساناً رطباً بذكر الله وقلباً شاكراً».

اللسان بطريق الثناء والاعتراف وبقي ظهور أثرها على الجوارح أشار لذلك بقوله: (وبدناً هيناً) منقاداً (ليناً) سهلاً (بطاعتك) في طاعتك، وهذه الثلاثة المذكورة هي أصول الكرامات كل منها يثمر ثلاث نتائج فذكر اللسان عند سلامته من عوارض الرياء والغفلة يثمر تنوير القلب وتحقق المعرفة واتساع الحال، والشكر يثمر طيب الحياة بالرضى، والمزيد في النعمة ودوام العوافي فيما أنت فيه، وانقياد الجوارح للطاعات يثمر حلاوة المناجاة ودوام العزّ بالله في جميع الحالات والنجاة من العلل والآفات، فهي تسعة من ضرب ثلاثة في ثلاثة وعليها مدار طريق القوم (وأعطنا مع ذلك) أي الذي تقدم ذكره من ذكر الأصول الثلاثة من المواهب اللدنية والتجليات العلية والإفاضات الوهبية (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) أي ما لم تقع عليه جارحة أحد من العين والأذن، وما لم تخطر ببال أحد، وكأنه أشار بذلك إلى مواهب الآخرة بدليل قوله (كما أخبر به رسولك ﷺ) في قوله: «إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[1]، وسقطت جملة ﷺ في بعض النسخ. (حسبما علمته بعلمك) القديم الأزلي، فما أخبر رسولك إلا بما هو في علمك، وأشار بذلك إلى تشريفه ﷺ حيث أطلع رسوله على بعض غيبه الذي لا يطلع عليه إلا من ارتضاه، وأشار إلى عقيدة خواص السادة الصوفية بأنه تعالى عالم بعلم قديم بذاته العلية وأن ليس للعبد منه إلا المستعار.

(وأغننا) بقطع الهمزة (بلا) وسائط ولا رؤية (سبب) منا غفلة

(1) قال: بدليل قوله كما أخبر به رسولك ﷺ في قوله: «إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».
قلت: رواه البخاري 3072 ومسلم 2824 عن أبي هريرة من طرق.

عن خالقه لئلا نشتغل به، ثم سأل ما هو أشرف من هذا المقام مع الإشارة إلى ما مكنه الله في مقام القطبية العظمى فقال (واجعلنا سبب الغنى لأوليائك) أي سبباً في الإمداد بالغنى لسائر الأولياء على ما هو شأن القطب من كونه مظهر الحق من خلقه ومرآة تجليه، فهو لذلك في الكون بمنزلة إنسان العين عليه المدار ومن فيض نوره يستمد جميع الأنوار، ثم أكد ما أشار إليه بقوله (وبرزخاً) أي حجاباً مانعاً ووقاية كاملة (بينهم) أي بين أولياء الله (وبين أعدائك) المراد بهم سائر القواطع عن كمالهم واتصالهم بربهم من النفس والهوى والشيطان، وهذا شأن أهل التمكين والرسوخ في مراتب الولاية الإلهية، وهي رتبة القطب الأعظم (إنك على كل شيء قدير) كالتوكيد للمعنى الحامل على سؤال ما سأل.

ثم شرع في ذكر ما أخرجه الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» بسنده دعاء أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه الذي كان يدعو به سراً وجاء جبريل وأخبر النبي ﷺ أنه أعرف في السماء منه في الأرض لدعاء يدعو به كل يوم مرتين، فسأله النبي ﷺ فقال: نعم فداك أبي وأمي ما سمعته من بشر وإنما هي عشرة أحرف ألهمني ربي إياها إلهاما وأنا أدعو به كل يوم مرتين. فذكره وفيه فقال جبريل: يا محمد والذي بعثك بالحق لا يدعو أحد من أمتك بهذا الدعاء إلا غفرت له ذنوبه وإن كانت أكبر من زبد البحر وعدد تراب الأرض ولا يلقى الله أحد من أمتك وفي قلبه هذا الدعاء إلا اشتاقت إليه الجنان واستغفر له الملكان وفتحت له أبواب الجنة فنادته الملائكة يا ولي الله ادخل من أي باب شئت، وهي هذه الكلمات:

الأولى: (اللهم إنا نسألك إيماناً دائماً) أي ملزوماً بالليل والنهار يستغرق مدة الحياة الدنيا.

الثانية: (ونسألك قلباً خاشعاً) لجلال كبريائك وعظمة جلالك وبه يكون ثبات الإيمان في القلب ودوامه.

الثالثة: (ونسألك علماً نافعاً) بأن تشرق أنواره في القلب وتتمكن فتبدو له بها الأمور على حقيقتها ويحصل ذلك بخشوع القلب.

الرابعة: (ونسألك يقيناً صادقاً) وهو استقرار العلم النافع في القلب بحيث لا يتغير به فيصير به على بصيرة من الأمور فيصير به المعلوم مشاهداً أو كالمشاهد بارتفاع الحجب الجسمانية.

الخامسة: (ونسألك ديناً قيماً) وله مرتبتان أدناهما السير في الشريعة على الاستقامة، وأعلاهما أن يدين إلى الله تعالى ولا يلتفت إلى سواه، وهو ثمرة صدق اليقين.

السادسة: (ونسألك العافية من كل بلية) دنيوية أو أخروية وسؤال العافية منها أن لا يكله إلى نفسه في وجه من وجوهها ولا يخذله.

السابعة: (ونسألك تمام العافية) وتمامها بالسكون إلى الله تعالى والرضا عنه والتسليم له.

الثامنة: (ونسألك دوام العافية) بأن تدوم ولا تنقطع.

التاسعة: (ونسألك الشكر على العافية) ليكون قيداً لأوابد النعم وسبباً لمزيدها.

العاشرة: (ونسألك الغنى عن الناس) للخروج من الرق إلى الحرية، وهذه الكلمات قد ذكرت أيضاً في خاتمة دعاء الفرج الذي رواه الإمام جعفر الصادق عن آبائه الكرام مرفوعاً إلى النبي ﷺ[1].

(1) قال: ثم شرع في ذكر ما أخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول بسنده

ثم إن هذا الدعاء يقرأ مرة واحدة والمسموع عن الشيوخ مرتين،

= دعاء أبي جندب بن جنادة رضي الله عنه الذي كان يدعو به سراً وجاء جبريل وأخبر النبي ﷺ أنه أعرف في السماء منه في أهل الأرض لدعاء يدعو به كل يوم مرتين، فسأله النبي ﷺ فقال: نعم، فداك أبي وأمي، ما سمعته من بشر، وإنما هو عشرة أحرف ألهمني ربي إياها إلهاماً، وأنا أدعو به كل يوم مرتين، فذكره، وفيه: فقال جبريل: يا محمد، والذي بعثك بالحق، لا يدعو أحد من أمتك هذا الدعاء إلا غفرت له ذنوبه، وإن كانت أكثر من زبد البحر، وعدد تراب الأرض، ولا يلقى الله أحد من أمتك وفي قلبه هذا الدعاء إلا اشتاقت إليه الجنان، واستغفر له الملكان، وفتحت له أبواب الجنة، ونادت الملائكة: يا ولي ادخل من أي باب شئت. وهي هذه الكلمات: اللهم إنّا نسألك إيماناً دائماً، ونسألك قلباً خاشعاً، ونسألك علماً نافعا، ونسألك يقيناً صادقا، ونسألك ديناً قيماً، ونسألك العافية من كل بلية، ونسألك تمام العافية، ونسألك دوام العافية، ونسألك الشكر على العافية، ونسألك الغنى عن الناس... ثم قال: وهذه الكلمات قد ذكرت أيضاً في خاتمة دعاء الفرج الذي رواه الإمام جعفر الصادق عن آبائه الكرام مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

قلت: الأول ذكر في نوادر الأصول عن علي 3/ 40-41، والثاني رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق 18/ 87 من طريق جعفر بن محمد قال: حدثني أبي عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ كان إذا حزبه أمر دعا هذا الدعاء، وكان يقال: إنه دعاء الفرج.

«اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام، وارحمني بقدرتك علي لا أهلك وأنت رجائي فكم من نعمة أنعمت بها علي قل لك عندها شكري وكم من بلية ابتليتني قل لك بها صبري، فيا من قل عند نعمته شكري فلم تحرمني، ويا من قل عند بليته صبري فلم تخذلني، ويا من رآني عليّ الخطايا فلم تفضحني أسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت ورحمت على إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم أعني على ديني بدنيا وعلى آخرتي بتقوى واحفظني =

موافقة لصاحب الحديث، ويوجد في بعض النسخ ثلاث مرات.

(اللهم إنّا نسألك التوبة الكاملة) هي النصوح المستجمعة لشرائط الصحة والكمال، ولها أركان ثلاثة: الندم على ما فات، والعزم على ترك المعاودة، والسعي في تلافي ما يمكن تلافيه من حقوق الله وحقوق الناس، فإن لم يمكنه فالعزم على الوفاء والدعاء للخصوم، قاله الجنيد. (والمغفرة الشاملة) أي المستغرقة لسائر أنواع المعاصي (والمحبة الكاملة) أراد بكمالها استيلاء ذكر صفاته على قلبه والتغافل بالكلية عن الإحساس بصفات نفسه فلا يبقى له منه شيء (والخلة الصافية) الخلة بالضم ويفتح أيضاً الصداقة وتمكن المحبة من القلب، وأراد بصفائها خلوصها بأن يوافق الظاهر الباطن (والمعرفة الواسعة) أراد بسعتها إحاطتها بالمعلومات الكثيرة (والأنوار الساطعة) أي اللامعة المضيئة المشرقة، وهي أنوار الإيمان، تقذف في القلب فيتسع وتلوح على الجوارح والأعضاء وهي التي تسعى بين أيدي المؤمنين يوم القيامة (والشفاعة القائمة) أي التامة من غير نقص ولا خلل، والمراد لغيره من أحبابه كما هو شأن أهل الولاية، أو المراد المستقلة بأعباء الذنوب والمعاصي، أو المراد الرابحة المقبولة التي لا ترد (والحجة البالغة) الحجة هي

= فيما غبت عنه ولا تكلني إلى نفسي فيما حضرت يا من لا تضره الذنوب ولا ينقصه المعروف هب لي ما لا يضرك واغفر لي ما لا ينقصك، اللهم إني أسألك فرجاً قريباً وصبراً جميلاً وأسألك العافية من كل بلية، وأسألك دوام العافية وأسألك الغنى عن الناس، وأسألك السلامة من كل شيء ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

وهذا ضعيف، في إسناده أبو عصمة نوح بن نصر الفرغاني، قال ابن النجار: صاحب مناكير وغرائب. الميزان 5/ 405.

الدلالة المبينة للمحجة أي المقصد، وبلوغ كمالها في نفسها بحيث لا يعتريها دحض، أو قوتها في معناها بحيث لا يعارضها شيء، أشار بذلك إلى قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: 149]، (والدرجة العالية) عندك علواً يليق بأمثاله فمن قوله: اللهم إنّا نسألك التوبة الكاملة إلى هنا تسع كلمات أوردها على هذا الترتيب الغريب المناسب، ففتح الباب للمريد الصادق في التوبة النصوح ووصفها بالكمال اللازم للصدق، وهو أول مراتب السالكين، ثم بعد مرتبة الإقلاع عن المعاصي والعزم على عدم العود أشار إلى شمول الغفران لمن سلك سبيله ولم يتلعثم فإذا تمت له هذه النعمة شرف بخلعة كمال الحب، فإذا تم تغافله عن إحساس صفات نفسه بالكلية توج بتاج صفاء الخلة بتمكن المحبة في القلب، ثم يترقى فيعطى سعة المعرفة في قلبه والأنوار الساطعة على وجهه كلتيهما في الدنيا واثنتين في الآخرة قبول شفاعته وعلو درجته وواحدة في البرزخ وهي أحكام حجته فانظر إلى هذا السر الغريب والترتيب العجيب.

(وفك) أي حل (وثاقنا) أي قيدنا الذي شددتنا به (من) أجل (المعصية) أي لا توثقنا بقيود معاصيك لأنها تمنع السلوك إلى الحق كما أن القيد يمنع السير الظاهر (ورهاننا) هو بالكسر مصدر راهنه من الرهن وهو التوثق بالشيء بما يعادله بوجه ما، أو هو ما يرتهن به أي يحتبس كالرهن، فهو إذن كالوثاق، ولما كان الرهن متصوراً منه الحبس استعير ذلك للمحتبس أي شيء كان ومنه (كل امرىء بما كسب رهين) أي وحل رهننا (من النعمة) فإن الإنسان مرهون في مكافأة نعم الله تعالى بشكرها وشكره لا يبلغ مكافأتها أبداً فلا يزال رهناً بها حتى يفك (بمواهب المنة) أي الفضل جمع موهبة أو وهب

وهو العطية بلا عوض، والمراد هنا عنايات الله سبحانه بعبده من سابق الأزل تعصمه عن الوقوع في المعاصي والمخالفات وتوفقه لأداء شكر نعمه قدر استطاعته ثم ترقيه إلى عدم الوقوف مع النعم لكونه حجاباً عن شهود المنعم، فقوله بمواهب المنة، راجع للجملتين، واستعار الوثاق في الجملة الأولى لكون شؤم المعصية أشد ولأن المخالف لأوامر سيده كالهارب فناسب الوثاق لذلك، والرهان في الثانية لكون عدم المكافآت، وإن كان عند أهل الحق معصية، لكنه أخف فناسب ذكر الرهان الذي هو قيد معنوي لذلك، ومقتضى سياق الشارح أن الجملة الثانية هي الوقوف مع النعمة، وأنه شؤم، ولا يخفى أن الشيخ لم يذكر إلا رهان النعمة، وأما الوقوف معها فهو أمر آخر زائد على ما ذكر ومقام أرقى من هذا المقام لا يكون إلا لخواص الخواص، فإن فرض أنه المراد بذلك فلا يكون إلا من طريق التلويح فتأمل.

قال الشارح: يحتمل قوله: فك، أن يكون فعل أمر كما قررنا به أولاً، ويحتمل أن يكون مصدراً معطوفاً على المنصوبات قبله فهو من عطف الجمل على الأول ومن عطف المفردات على الثاني، وبحسب ذلك فما بعده إما منصوب على المفعولية أو مخفوض بالإضافة انتهى.

قلت: والمشهور المتلقى من الشيوخ قاطبة الرواية الأولى فينبغي الاقتصار عليها، ولا ينظر إلى الوجوه النحوية مع وجود الرواية.

تنبيه: سمعت بعضاً من الإخوان يقرأ ورهاننا من النقمة بالقاف ويقول إن له وجهاً صحيحاً، وكأنه يريد أن النقمة هي عقوبة المجرم بمبالغة، وقد صار مرتهناً بها فطلب من الله تعالى فكاك رهنه

عن العقوبة بمحض المنة بحيث تمحى جرائمه فلا يعاقب عليها وهذا مع ركاكته وعدم لياقته مخالف للرواية الصحيحة المشهورة فتأمل ذلك.

(اللهم إنّا نسألك التوبة) أي الرجوع إلى الحق (ودوامها) أي الاستمرار عليها (ونعوذ بك من) الوقوع في (المعصية) أي المخالفة لأوامر الحق (و) نعوذ بك من مباشرة (أسبابها) التي تنشأ عنها المخالفات وعلى هذا السياق فلا مؤاخذة على كلام الشيخ بأنه طلب أولاً التوبة المقيدة بالكمال فما فائدة طلب التوبة المطلقة، فإن كمال التوبة موجود فيه أصل التوبة، وكذا في الاستعاذة من المعصية إلا أن يقال إنه طلب أولاً كمال التوبة وهنا إياها مع الدوام، فكأنه قال: نسألك دوام التوبة، ولا شك أن دوامها غير كمالها.

وأما في الشق الثاني فالقصد الإعاذة من أسباب المعصية بفقدها فتغيب عن النظر ولا تخطر في القلوب أصلاً فلا يتعرض للسقوط عن عين الخالق سبحانه، وهذا الطلب لم يتقدم سابقاً فتأمل.

(فذكرنا) هكذا الرواية المشهورة، وفي رواية الترمذي: وذكرنا بالواو، وهي التي مشى عليها الشارح (بالخوف منك) خاطبه بأن يغمر باطنه من آثار مشاهدة الجلال (قبل هجوم خطراتها) أي تلك المعاصي أو الأسباب والخطرات ما يهجس في القلب وهجومها ورودها على القلب بقوة الوقت من غير تصنع (واحملنا) بالتمرين (على النجاة) أي الخلاص بما فيه المخالفة (منها) أي من تلك الخطرات والهواجس أو من أسباب المعاصي (ومن التفكر) أي التأمل بالقصد (في طرائقها) أي تلك الخطرات أو أسباب المعاصي، وبه يفرق بين التفكر والخطرة حيث إنها عارضة على

القلب من غير قصد. والطرائق جمع طريقة وإنما اختارها دون الطرق لاختصاص الطريقة في عرفهم بسيرة السالك من قطع المنازل والترقي في المقامات، (وامح) أي أزل (من قلوبنا حلاوة) أي لذة (ما اجتنيناه) أي اقترفناه (منها) أي من تلك الأسباب أو منها ومن التفكر ومن المعاصي من حيث المجموع، وأما الخطرات فليست من كسب العبد وقد أثبت لما ذكر لذة وحلاوة، ثم استعار لها الاجتناء فربما ينتقش أثر منها في لوح القلب، فلذلك طلب المحو وهو لا يكون إلا بعد الإثبات (واستبدلها) أي أبدلها، يقال: أبدله واستبدله بمعنى واحد، والضمير للأسباب (بالكراهة لها) أي اجعل نفوسنا كارهة لها، والكراهة في الشيء أن يعافه الإنسان من حيث العقل أو الشرع، ولهذا يقول الإنسان في شيء واحد أريده وأكرهه بمعنى أريده من حيث الطبع وأكرهه من حيث العقل أو الشرع (والطعم) أي الذوق (لما هو بضدها) أي المعاصي وضدها الطاعات، أي أبدل حلاوة المعاصي بحلاوة الإيمان فحلاوة المعاصي ظاهرية وحلاوة الطاعات معنوية، حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات (وأفض علينا) إفاضة (من بحر كرمك) وفي نسخة زيادة وفضلك وجودك وكل من الثلاثة متقارب المعنى، فالكرم إفادة ما ينبغي لا لغرض والفضل ابتداء إحسان بلا علة والجود مرادف للكرم (وعفوك) هو ما جاء بغير تكلف ولا كره والمراد به التجاوز عن المعاصي (حتى نخرج من الدنيا) أي من عالمها (على السلامة) أي معها (من وبالها) أي الدنيا لأنها أقرب مذكور أو المعاصي أو الأسباب والوبال عاقبة السوء والجزاء على الجرم والسلامة منه التعري عن العوارض النفسانية والآفات الشهوانية، وجعل الخروج من الدنيا على السلامة من وبالها غاية

لإفاضة الكرم لاستلزامه استصحابها، فإن من خرج من الدنيا سالماً دام له الإكرام بزوال رتبة التكليف وذهاب الموانع الصارفة عن الخير وارتفاع الحجب.

قال الشارح: ولما كان الخروج من الدنيا بالسلامة المذكورة عاماً في سائر ما يتفرع منه خص بالذكر ما هو أعظم أفراده فقال: (واجعلنا عند الموت) وهو أول السير إلى البرزخ (ناطقين بالشهادة) النطق الأصوات المقطعة التي يظهرها اللسان وتعيها الآذان والمراد بالشهادة كلمة الإخلاص (عالمين بها) أي عند الموت إذ النطق لا يستلزم العلم كالعكس فلذلك جمع بينهما (وارؤف) كانصر وافتح واعلم وماضيه مثلث العين (بنا) في سائر الشؤون والأحوال والأزمنة والأمكنة (رأفة الحبيب) أي المحب (بحبيبه) أي بمحبوبه والرأفة ألطف الرحمة وأبلغها فالمرؤوف به تقيمه عناية الرأفة حتى تحفظ بمسراها في سره ظهور ما يستدعي العفو، قاله الحرالي.

وفي كلام الشيخ الأكبر ما يدل على أن من المقلوب رأف ورفأ وهو التئام الخرق وإصلاحه، فرأفة الحق التئام الرحمة بعباده رحمة السابقة ورحمة الخاتمة (عند الشدائد) وهي الأمور العظام، جمع شديدة متعلق برأفة الحبيب ليفيد كيفية الرأفة المطلوبة في جميع الأحوال ويحتمل تعلق الظرف بفعل الأمر، أي ارؤف بنا عند الشدائد، لكنه يفيد قصر ذلك على حال الشدائد، فالأول لشموله أولى، قاله الشارح، أي من شأن المحب أن تشمل عنايته وملاحظته بمن يحبه في سائر أحواله خاصة عند الشدائد لاحتياجه فيها إليها فتعلق الظرف به مع كونه أقرب مذكور أولى من تعلقه بالفعل مع قصور في المعنى ومجافاة لما سيق الكلام لأجله الذي هو سعة الرأفة في سائر الشؤون، ولما كانت عندية الشدائد لا تستلزم نزولها

إذ قد تكون لمجرد تقدير الوقوع زاد فقال (ونزولها) أي تلك الشدائد ليعم به، وأصل النزول الانحطاط من العلو (وأرحنا من هموم الدنيا وغمومها) أي أحزانها وكرباتها (بالروح) بالفتح ما تستلذ به النفس وترتاح، فهو اسم للراحة الخاصة (والريحان) الرزق الحسن الموصلان (إلى الجنة ونعيمها) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: 89] وقد يكون المراد بالروح حصول الراحة من التكليف في عالم البرزخ، والريحان ما يقدم إليه من التحف يرتاح إليها والجنة موضع الوصال ونعيمها المشاهدة.

(اللهم إنّا نسألك توبة سابقة منك إلينا) في سابق علمك لامتنانك بها علينا كما أن حبك لنا أزلي (لتكون توبتنا تابعة إليك منا) فتطابق ما سبقت به إرادتك وأحاط به علمك فلا يعتريها تبدل وهو إشارة إلى مقام الإنابة الخاصة، وهي لخواص المؤمنين من الأولياء أو من نتائج محبة الله الأزلية، ولولا توبته سبحانه سابقة لهم لم تصح توبتهم ولو تابوا ألف مرة في اليوم فطلب اللحوق إلى هذا المقام (وهب لنا) أي أعطنا (التلقي منك) هو القبول عن فهم وفطنة، والمراد هنا الإلهام الخاص بأمر ما في السر بإشارة أو نطق أو غيره (كتلقي آدم) وفي نسخة هنا زيادة عليه السلام (منك الكلمات) أي أخذها منك وقبولها، وهي ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ الآية وسبب هذه الكلمات كانت التوبة، يريد تشبيه التلقي بالتلقي وإلا فأين الوحي من الإلهام كما يدل عليه المقام فلا ملام (ليكون) آدم (قدوة) بالكسر والضم (لولده) المتبعين له أي يقتدون به ويتأسون بطريقته (في) مقام (التوبة) والرجوع والإنابة إلى الله تعالى عند الوقوع في المخالفات (والأعمال الصالحات) التي هي شرط في صحة التوبة أو كمالها، والعمل الصالح هو المراعى من العلم،

وأصله الإخلاص في النية وبلوغ الوسع في المحاولة بحسب علم العامل وأحكامه (وباعد بيننا وبين العناد) بكسر العين، الاعوجاج والخلاف أو المبالغة في الإعراض ومخالفة الحق (والإصرار) هو التعقد في الذنب والتشديد فيه والامتناع عن الإقلاع عنه والدوام والملازمة (والشبه) محركة كذا في أصل المغيلي وفي سائر الروايات، والتشبه (بإبليس) أبي الجن (رأس الغواة) أي رئيس المضلين، ووصفه بذلك لما كان عليه من افتتاح الغواية بشعبتي العناد والإصرار وجعلهما منه في مقابلة ما كان لآدم عليه السلام من التوبة والأعمال الصالحات (واجعل سيئاتنا) جمع سيئة وهي الفعلة القبيحة مثل (سيئات من أحببت) من عبادك كآدم عليه السلام الذي سبقت له منتك ولاحت عليه محبتك فكانت سيئاته سبباً في اللجأ والتضرع إليك وهما سبب القرب منك (ولا تجعل حسناتنا) مثل (حسنات من أبغضت) وأبعدت من قربك كإبليس اللعين الذي سبقت له سابقة السوء فلم تنفعه حسناته إذ كانت سبباً في تكبره وأنانيته وعناده وإصراره ومخالفته للأوامر واعتراضه وتسفيهه (فالإحسان) في حد ذاته (لا ينفع) شيئاً (مع البغض منك) السابق في الأزل كما لم ينفع إبليس علمه ويليه بلعام وبرصيص العابد وغيرهم (والإساءة) في حد ذاتها (لا تضر مع الحب) السابق (منك) في الأزل كما لم تضر آدم عليه السلام إذ كان لديك من المحبوبين.

وجاء في بعض الأخبار: إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب.

ثم شرع في تعداد النعم والثناء على مفيضها بذكر الإيمان الذي هو أكبرها مقدماً عليه بأن كماله بأن يكون بين الخوف والرجاء فقال: (وقد أبهمت الأمر علينا) لأنّا لا نعرف صحة العمل ولا قبوله لخفاء ما يطرق الأعمال من الآفات، والإبهام عدم التبيين (لنرجو

ونخاف) والرجاء والخوف مقامان عظيمان فالرجاء ترقب الانتفاع بما تقدم له سبب، وقيل تعلق القلب بحصول المحبوب، مستقبلاً وقيل ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة، والخوف حذر النفس من أمور ظاهرها يضره أو توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، والمعنى أن سر الإبهام في الأوامر علينا ليكون إيماننا بين الرجاء والخوف فنرجو رحمتك نظراً إلى سعتها وتمامها ونخاف عقابك نظراً إلى التقصير في أداء المفترض، وشرطوا في الرجاء مقارنة العمل وإلا فهو رجاء الكذابين، ويسمى التمني ومنهم من يصحبه الخوف في الرجاء وبالعكس وإليه يلحظ قوله تعالى: ﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: 13] فتأمل وقدم الرجاء على الخوف لشرفه (فآمن خوفنا) أي أبدل خوفنا بالأمن، يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 4] أي كل خوف يعترينا في كل أحوالنا (ولا تخيب رجاءنا) أي لا تردنا خائبين عن مأمولنا منك، والخيبة عدم الظفر بالمطلوب، وفي الكلام لف ونشر غير مرتب (وأعطنا سؤلنا) أي جميع ما سألناك بإجابة دعوتنا، وفي المقام تفصيل بعد إجمال، وإجمال بعد تفصيل يدل على تعظيم الربوبية وتحقيق العبودية، وجعله كالتوطئة لقوله (فقد أعطيتنا) معشر المؤمنين (الإيمان) من سابق الأزل (من قبل أن نسألك) فكيف لا تعطينا مكملاته مع سؤالها، ثم عطف على ما قبله وقال (وكتبت) أي أوجبته في قلوبنا (وحببت) أي جعلته محبوباً لنا بتسهيل سبيله وفيهما الإشارة إلى الآيتين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: 22] وقوله: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [الحجرات: 7]، (وزينت) أي حسنته لنا من باب ذكر السبب بعد المسبب. ثم ذكر ما يقابل التحبب فقال (وكرهت) بالتشديد، أي لمن شئت ممن لم تكتب في قلبه فلم يسهل

سبيله فكرهه ولم يقبله (وأطلقت) أي أجريت وأنطقت (الألسن) كلها بالمقال والحال وعبر عنهما بقوله (بما به ترجمت) أي عبرت بما جرى به القلم في اللوح، وهذا من خالص التوحيد فإنه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه وفعله بل وجميع ما تتعلق به إرادة العبد ومشيئته فهو أثر من آثار مشيئة الله وإرادته كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: 30]، (فنعم الرب أنت) أي نعم المالك المربي السيد المصلح أنت أتى به للإشعار بتعظيم الثناء (فلك الحمد) هو الثناء بالجميل أي خاصة لا لغيرك، ثم ذكر متعلق الحمد فقال: (على ما أنعمت) مما سبق ذكر بعضه وأجله الإيمان (فاغفر لنا) ما أهمنا، وحذف متعلق الفعل ليعم وكرر سؤال المغفرة غير مرة إيماء إلى أنها المقصود الأهم وما سواه وسيلة، وفيه من الأدب تقديم الثناء على الله بين يدي سؤاله (ولا تعاقبنا) أي ولا تؤاخذنا بالعقاب أي الإيلام (بالسلب) يحتمل سلب الأحوال المعنوية (بعد العطاء) يحتمل سلب النعم الظاهرية وكل من السلبين عقوبتهما شديدة، وأصل السلب نزع الشيء من الغير قهراً وهو غير الحرمان، وانظر سياق الشيخ لأن من حرم قبل العطاء لم يذق حلاوة العطاء إلى آخره، فإنه يدل على تساويهما فتأمل.

ثم ذكر ما هو السبب للسلب المذكور فقال (ولا بكفران النعم) أي جحودها وعدم الشكر عليها وهو من الكفر، وهو الستر، سمي ضد الإيمان كفراً لأنه ستر على الحق وهو التوحيد، وأطلق أيضاً على جحد النعم لكن الأكثرون على تسمية ما يقابل الإيمان كفراً وعلى جحد النعم كفراناً (وحرمان الرضى) طلب أن لا يعاقبه بعدم وصوله إلى مقام الرضى والتسليم فإن حرمان هذا المقام شديد ووباله أكيد، وأساس العبودية الرضى ومدارها عليه، وبناله من وفّقه

الله تعالى والكل منه وإليه سبحانه، ولما طلب عدم حرمانه بمقام الرضا إجمالاً فصّله بقوله:

(اللهم رضنا بقضائك) أي اجعلنا راضين بهذا المقام، يقال: رضاه وأرضاه جعله راضياً وليس مكرراً مع قوله السابق، فهنيئاً لمن عرفك فرضي بقضائك لأنه هناك أخبر بما ينتج عن الرضى وهنا التحقيق بمقام الرضى وجعله كالتوطئة لما بعده وهو قوله (وصبرنا على طاعتك) اتهم نفسه بالتقصير فسأل مقام الصبر على الطاعة وهو حبس النفس عليها وليس مكرراً مع قوله السابق وبدناً هيناً ليناً بطاعتك فإنه طلب هناك انقياد الجوارح للطاعات وهنا تحمل المشقة بها فتفارقا (وعن معصيتك) أي مخالفتك أشار إلى أن الصبر على قسمين صبر على الطاعة وصبر عن المعصية بتجرع مرارة الامتناع من مشتهياتها فمن لم يصبر على الطاعة تركها ومن لم يصبر عن المعصية ارتكبها، وكلا القسمين من باب الصبر على ما هو كسب للعبد وإن اختلف في تعديته بعلى وعن، والصبر على المكتسب على قسمين:

الصبر على المأمورات مطلقاً: فأشار إليه بقوله: على طاعتك.

وعلى المنهيات وهي قسمان: محرمة أشار إليها بقوله: وعن معصيتك، ومكروهة أشار إليها بقوله (وعن الشهوات) وهي جمع شهوة، وهي نزوع النفس إلى محبوب لا يتمالك عنه وليس مكرراً مع قوله السابق، وزحزحنا عن نار الشهوة لأنه طلب هناك تنحيته عن نارها وقوتها وهنا عن نفسها، وقد تقدم أنها في الدنيا ضربان صادقة وكاذبة، وأيضاً فإن هناك طلب الإبعاد عن نارها ولم يذكر ما ينتج منها. وهنا أشار إلى ما يتحصل من مصاحبتها فقال

(الموجبات) أي المكسبات (للنقص) في المقام من درجات الكمل من الورثة العارفين (أو البعد عنك) أي عن حضرتك ودائرة ولايتك والتحقق بمعرفتك، أشار إلى أن من لم يتطهر من جنابة الشهوات لم يدخل حضرة الله أي من نزعت نفسه إلى ما يريده ولم يتمالك في ردها ينقص مقامه أو يبعد عن حضرة الله. ودرجة الصبر على الملاذ توجب صفة الكمال والقرب.

وأما القسم الثاني الذي هو الصبر على ما هو ليس كسباً للعبد، كصبره على مقاساة ما يتصل به من حكمه تعالى فيما له مشقة من الآلام والأسقام في نفسه وماله وولده وخادمه ونحوها، فلم يشر إليه صريحاً لدخوله تحت قوله أو البعد تلويحاً، قاله الشارح.

ولا يخفى أن الشيخ إنما سأل الصبر عن الشهوات المكسبة لما تقدم من النقص أو البعد.

والقسم الثاني المذكور ليس من الشهوات فلا يكون داخلاً تحت فرد من أفراد القسم الأول لا صريحاً ولا تلويحاً، وإن كان قوله: ولعل هذا القسم مما يوجب البعد لا النقص صحيحاً في نفسه فإن عدم الصبر على مقاساة ما يتصل إلى العبد من أحكام الله تعالى من الآلام والأسقام وغيرها من العوارض البشرية مما لا يوجب نقصان مقامه بمقتضى الجبلية البشرية فتأمل.

ثم إن قوله للنقص ليس مكرراً مع قوله السابق، وقد سنا عن كل وصف يوجب نقصاً لأن هناك سأل التقديس عن الأوصاف الموجبة نقصاً وهنا سأل الصبر عن الأفعال الموجبة نقصاً، وبين المقامين فرق لا يخفى، وأيضاً فإن هناك اقتصر على الموجبات للنقص فقط وهنا للنقص والبعد فافترقا (وهب لنا حقيقة الإيمان بك)

أي كماله بأن يغلب على القلب حاله حتى لا يبقى فيه متسع لغير الله وذلك معنى الجمع على الله باستيلاء مراقبة الحق على الباطل، والغيبة عمن سواه وينمحى منه أمل كل شيء يرجى وخوف كل شيء يتقى، وإليه أشار بقوله (حتى لا نخاف غيرك) في حال من الأحوال (ولا نرجو غيرك) في بلوغ الآمال (ولا نحب غيرك ولا نعبد شيئاً سواك) أشار إلى مقامي الفرق والجمع وهما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: 5].

(وأوزعنا) أي ألهمنا (شكر نعمائك) بالفتح مع المد، وأشار بذلك إلى قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النمل: 19] وليس مكرراً مع قوله السابق وقلبا منعماً بشكرك، وقوله: ونسألك الشكر على العافية لأنه هنا طلب إلهام الشكر على النعم وهناك طلب قلباً موصوفاً بصفة خاصة وشكراً مقيداً بكونه على العافية فأفاد في كل محل ما لم يفده الآخر (وغطنا برداء عافيتك) أي السلامة من الآفات الدينية والدنيوية أي جملنا به، واستعار لها الرداء الذي هو أحد جزأي الحلة دون غيره لما يقع به التجمل غالباً وإضافتها إلى الله تعالى تقتضي كمالها، ولما كان كمالها باليقين وأن لا يكل الله العبد إلى نفسه أشار للمقامين فقال (وانصرنا) أي أعنا (باليقين) الموجب للرضا والتسليم بإشراق النور في القلب (والتوكل عليك) بتبرك تدبير النفس إلى تدبيرك وتفويض أموره كلها إليك وعليه مبنى طريقة الشيخ قدس الله سره أو بالانخلاع من الحول والقوة، ولم يذكر المنصور عليه ليدل على العموم أن نفساً أو شيطاناً (وأسفر) أي أشرق (وجوهنا بنور صفاتك) الحسنى أي بتجلي أنوارها (وأضحكنا) أي فرحنا وسقط هذا من أصل المغيلي، وهو ثابت في رواية الفاسيين (وبشرنا يوم القيامة بين أولئك) المذكورين في قوله

تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ [عبس: 38ـ39] فأخذ قوله هذا من هذه الآية، والإسفار الإضاءة، والمراد بالضحك هنا السرور المجرد والاستبشار السرور بمشاهدة الله تعالى وبشره وأبشره أخبره بسار بسط بشرة وجهه (واجعل يدك) أي نعمتك الكاملة (مبسوطة) أي منشورة أو موسعة أشار به إلى قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: 64] والبسط يستعمل فيهما أي النشر والتوسيع فتارة يتصور منه الأمران وتارة أحدهما (علينا وعلى أهلينا) جمع أهل، وأهل الرجل في الأصل من جمعه وإياهم مسكن واحد، ثم تجوز فيه فقيل: أهل بيته من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو نحو ذلك وعلى هذا فقوله (وأولادنا) عطف خاص على عام ودخل فيه أولاد الصلب وأولاد الروح إلى يوم القيامة (ومن معنا) من أحبابنا بالمعية الصورية والمعنوية سائلاً مستشفعاً (برحمتك) العامة التامة، ولما تقدم طلب التغطية برداء العافية ومن معانيها أن لا يكل الله العبد إلى نفسه كما نسبه سهل التستري إلى إجماع العلماء صرح ذلك بقوله (ولا تكلنا إلى أنفسنا) ليكون تتميماً لطلب العافية الكاملة، وزاد بطريق المبالغة فقال (طرفة عين) أي مقدار لمحتها، ثم أشار إلى دوام الكلاءة على الإطلاق فقال (ولا أقل من ذلك) والنفس عاجزة على كل حال من التدبير، ولله در القائل:

يا رب هيىء لنا من أمرنا رشداً
واجعل معونتك الحسنى لنا مددا
ولا تكلنا إلى تدبير أنفسنا
فالنفس تعجز في إصلاح ما فسدا

(يا نعم المجيب) لدعوة الداعي الكسير (يا نعم المجيب) لدعوة البائس الفقير (يا نعم المجيب) لدعوة المضطر الحقير،

والتثليث اعتباراً بحصول المعنى المقصود في الحال والماضي والاستقبال (يا من هو هو هو) الواقع أولاً يحتمل عوده على من الموصولة أو أنه ضمير شأن وهو مبتدأ خبره على الأول هو الثاني بمعنى الله أي يا من هو المشار إليه بهو، وعلى الثاني خبره جملة هو هو، قاله الشارح، وقال الحرالي هو كلمة مدلولها العلي غيب الإلهية القائم بكل شيء الذي لا يظهر لشيء فذاته غيب أبداً وظاهره الأسماء المظهرة من علو إحاطة اسم الله إلى تنزل اسم الملك فما بينهما من الأسماء المظهرة انتهى.

وقال الشيخ الأكبر: اعلم أن الهوية سر الإلهية وهو عبارة عن موجود أزلي منفرد بصفة الجلال والكمال وهذا أول كلمة دعا الله عباده إليها بقوله: ﴿قُلْ هُوَ﴾ فتم الكلام، ثم قال الله وهو الاسم الجامع الخاص الدال على ذات الأحدية بجميع أجزائه الحرفية وحقائقه الوصفية (في) أي مع (علوه) علو مكانة لا مكان (قريب) وقربه تعالى لإحاطته بالأشياء بنعت كونه الأول والآخر والظاهر والباطن وإلا فهو سبحانه منزه عن الأين والجهة والكيف والمادة والصورة لأنها حدود يلزم من تقيد بها الحدوث والتخصيص، وتكرار هو ثلاثاً إشارة مختصة بأهل الاستغراق لما انكشف الوجود الحقيقي لديهم، وفقدوا ما سواه في شعورهم لفنائهم عن وجودهم بالكلية فأشاروا بهو ولا يشار إليه بهو إلا هو والهوية هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجر في الغيب المطلق.

(يا ذا الجلال والإكرام) هو اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى كما ورد ذلك في عدة أحاديث، والجلال التناهي في عظم القدر وخص به تعالى فقيل ذو الجلال ولم يستعمل في غيره، ولا جلال ولا كمال إلا وهو له، ولا كرامة ولا مكرمة

إلا وهي صادرة منه، فالجلال له في ذاته والكرامة فائضة منه على خلقه، وفنون إكرامه على خلقه لا تكاد تنحصر وتتناهى، وعليه دل قوله ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ ولما استشعر سعة جلاله وعدم انحصار فنون إكرامه لاحظ سعة معلوماته الكثيرة وإحاطته بها فقال (يا محيطاً) بالنصب هو عطف على قوله يا ذا الجلال ملاحظاً سعة معلوماته كذا ظهر، والمستفاد من قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: 54]، (وأحاط بكل شيء علماً) ولاحظ أن الأيام والليالي محيطة بكل مخلوق وهو سبحانه وتعالى محيط بها وبكل شيء، فقال: (بالليالي والأيام) إذ المحيط بها محيط بجميع ما أحاطت به وهو من حسن التعبير، وفي بعض النسخ من قوله: يا ذا الجلال إلى هنا ثلاث مرات.

ثم استشعر من نفسه القصور وخاف عليها الانسفال في الحظوظ والبعد عن الاستقامة فاستجار بالله تعالى يشكو بثه ويستعيذ بجلاله ويستمطر سعة إكرامه فقال (أشكو إليك) أي أستجير بك شاكياً (من) وقوع (غم الحجاب) المانع للبعد من سعادته وكماله والقاطع له عن حياة وصاله، وأصل الحجاب كل ما ستر المطلوب أو منع من الوصول إليه، والمعصية حجاب بين العبد وربه، وكل ما حجب عن المشاهدة هو حجاب، وهو نوراني وظلماني، وقد يكون الوقوف عند النعم حجاباً عن شهود المنعم، وأشار إلى أن الحجاب أياً كان نورانياً أو ظلمانياً له غم يغطي على بصائر العارفين، وبه يحصل الانحطاط عن أوج الارتفاع، ومما يدلك أنه أراد من الحجاب ما يحجبه عن الشهود قوله (وسوء الحساب) أي ما يحاسب عليه فيجازى بحسبه إذ محاسبة النفس فيما يحجبها عن مقام الشهود من أتم الأمور عندهم، فشكا من سوئه كما شكا في

الحجاب من غمه، ثم ذكر ما يتسبب عنهما فقال (وشدة العذاب) فإنه وإن تنوعت مظاهره إنما هو لوجود حجابه وسوء محاسبته لنفسه، كما أن النعيم وإن تنوعت مظاهره إنما هو لشهوده واقترابه (وإن ذلك) أي ما ذكر من العذاب المتسبب من الحجاب وسوء الحساب (لواقع) أي نازل بي (ما له من دافع) يدفعه عني، ولاحظ فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ [الطور: 7-8]، (إن لم ترحمني) أي إن لم تدركني رحمتك الواسعة يحتمل أن يكون جوابه محذوفاً دل عليه ما قبله وأن يكون كلاماً مستأنفاً وجوابه ما تضمنه قوله الآتي فيما بعد، ولما شكا من غم الحجاب وهو ذنب تذكر حال العبد الصالح يونس عليه السلام وما وقع له من الغم في ذهابه مغاضباً ثم حصل له النجاة من ذلك الغم قال بقوله الذي نجا تبركاً به ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87] لما ورد ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له، وقيده الحكيم الترمذي بمن أصابه غم الذنب[1] وإلا

(1) قال: لما ورد ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء ـ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ـ إلا استجيب له، وقيده الحكيم الترمذي بمن أصابه غم الذنب.
عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ دعوة فشغله أعرابي فلما قام تبعته فلما خفت أن يسبقني إلى بيته ضربت بقدمي على الأرض فالتفت فقال أبو إسحاق: مه، قلت: يا رسول الله دعوة ذكرتها فشغلك الأعرابي، قال: «نعم دعوة ذي النون في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، ما دعا بها مسلم إلا استجيب له».
نوادر الأصول، الأصل الثامن والتسعون في دعوة المغموم 2/ 24، ورواه الترمذي 3505، وأحمد 1462، والحاكم 1862، وغيرهم، وهو حديث صحيح.

فلا يدخل عندنا في الوعد الذي قال الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: 88] إلا أن يتفضل الله، ولعل الشيخ لاحظ هذا التقييد في هذا المقام فلذا أورده عقيب كلامه السابق، وتكراره ثلاثاً اعتباراً بحصول المعنى من التنزيه والتقديس والتوحيد والعبودية، ونسبة التقصير إلى النفس في القلب والروح والنفس، ولقد أفادني أخ من إخواني الصالحين أن الدعاء هنا مستجاب، ولعله نظر إلى قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء: 88].

ثم شرع في ذكر ما وقع لعباده الصالحين من كمل الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين من شكوى حالهم إليه ومناداتهم له في شؤون مختلفة، وما أنعم عليهم من الاستجابة وكشف الضر ورفع المقام تبركاً بهم واستمطاراً لسحائب كرمه وفضله عند ذكراهم مع ما يشعر من قوة الرجاء من العبد في ربه وحسن الظن به لحسن معاملته مع أحبابه بمحض الفضل الذي لا يتخلف لعلة ولا لسبب (ولقد شكا إليك يعقوب) عليه السلام، وإنما اختار هذا اللفظ هنا لمناسبة الشكوى الواردة عنه في قوله (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) وهو والد الأسباط الاثني عشر (فخلصته من حزنه) وهو الغم الحاصل من فوات ولده (ورددت عليه ما ذهب من بصره) بعدما انمحى سواد العين وبدل بياضاً من بكائه (وجمعت بينه وبين ولده) يوسف عليه السلام بعد أن فارقه مدة ثمان عشرة سنة أو أربعين، وقدم ذكره لما في قصته من لفظ الشكوى المناسب لقوله السابق: أشكو إليك، ولأنه أنعم عليه بنعم ثلاث الخلاص من الحزن ورد البصر والجمعية بعد التفرقة، وهذا جزاء من قصر شكواه على الله (ولقد ناداك نوح) عليه السلام (من قبل) أي من قبل يعقوب، وإنما قال ذلك مراعاة لقوله تعالى في حقه: ﴿وَنُوحًا إِذْ

نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء: 76] (فنجيته من كربه) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء: 76] أي من الغرق وتكذيب قومه (ولقد ناداك أيوب) عليه السلام (من بعد) أي بعدما ذكر لما ابتلي بأنواع البلايا كفقد جميع ماله وولده وتمزيق جسده وهجر جميع الناس له إلا زوجه سنين عديدة وضيق عيشته (فكشفت ما به من ضره) بالشفاء من مرضه وإحياء ولده الذكور والإناث وفيضان الماء كما قال تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ﴾ [يوسف: 84]، (ولقد ناداك يونس) عليه السلام وهو ذو النون صاحب الحوت، وهو قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87]، (فنجيته من غمه) وذلك قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾، (ولقد ناداك زكرياء) عليه السلام وهو قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنبياء: 89]، وقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: 38]، (فوهبت له ولداً من صلبه) وهو قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [الأنبياء: 90]، (بعد يأس أهله لعقمها، وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: 90]، (وكبر سنه) وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: 40] أي بلغت ثمانياً وتسعين سنة وبلغ هو نهاية السن مائة وعشرين سنة (ولقد علمت ما نزل) من البلايا (بإبراهيم خليلك) عليه السلام وذلك محاجته مع نمروذ اللعين وحبسه إياه مدة ثم إلقاؤه في النار (فأنقذته) أي خلصته (من نار

عدوه) نمروذ عليه اللعنة في قصة مشهورة (وأنجيت لوطاً) عليه السلام (وأهله من العذاب النازل بقومه) وهو قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ [العنكبوت: 28] الآية، وفيها ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [العنكبوت: 29 ـ 30]، وقال تعالى في حقه: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [العنكبوت: 32]، وقال أيضاً: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ [العنكبوت: 33] الآية.

فهؤلاء سبعة من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم استشهد بقصصهم القرآنية نظراً لسابق حسن عوائده تعالى مع أصفيائه وضنائنه استجلاباً لفضله تعالى في تذكر سابق فضله وكرمه، ولذا قال: (فها أنذا عبدك) معترفاً بما لا يمكن خلافه ليرتب عليه قوله (إن تعذبني بجميع ما علمت من) أنواع (عذابك فأنا حقيق به) أي مستحقه لما جبل عليه العبد من غاية النقص الذاتي المناسب لغاية الإبعاد من حضرة قدسه ومحل قربه لولا عنايته تعالى وتدارك رحمته، وإليه أشار بقوله: (وإن ترحمني كما رحمتهم) أي كرحمتك لهم (مع عظيم إجرامي) بكسر الهمزة، يقال: أجرم الرجل إذا أتى بجرم وهو اكتساب الإثم أو اكتساب المكروه، وهكذا الرواية. وإن قيل بفتح الهمزة لم يبعد فهو جمع جرم كقفل وأقفال أي مع اقترافي الذنوب الكثيرة (فأنت أولى بذلك) التعطف والإنعام الدال عليه ذكر الرحمة الواسعة (وأحق من أكرم به) لأنه ذو الجلال والإكرام وهو الرب الكريم ولا منتهى لعظم جلاله كما لا حصر لكرمه وإكرامه، أشار بذلك إلى قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

[المائدة: 118]، وفي بعض النسخ: وأحق من تكرم به ولما استشعر أن من تقدم ذكرهم لهم سبب يقتضي ما نالهم من التفضل والإحسان قال: (فليس كرمك) أي إفادتك ما ينبغي لا لغرض (مخصوصاً) ومقصوراً (لمن أطاعك) من أهل الخصوص (وأقبل عليك) بكليته كالسابقين (بل هو مبذول) أي مصروف بفضلك ورحمتك (بالسبق) أي بسبق مشيئتك وإرادتك (لمن شئت) له ذلك في أزلك (من خلقك) وهذا العموم قبل السمع صالح لاطراده في جميع الأفراد وبعده يخصص بمن هو مؤمن ولذا قال: (وإن عصاك) وخالفك أي فيما دون الكفر من المعاصي كما عرف ذلك في محله (وأعرض عنك) وهو مقابل أقبل عليك والمعنى أي عن طاعتك ولم يقل وإن كفر بك لأن الله لا يغفر أن يشرك وبه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

(وليس من الكرم) وفي نسخة: وليس الكرم (أن لا تحسن) أي لا يكون إحسانك مقصوراً (إلا لمن أحسن إليك) بالإقبال عليك والتزام طاعتك وقد علم أن الكريم هو الذي يعطي الجزيل ولا يمن بعطائه، وفي كلام الغزالي هو الذي إذا قدر عفا وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء ولا يبالي كم أعطى ولا لمن أعطى وإن وقعت حاجة إلى غيره لا يرضى وإذا جفي عاتب وما استقصى، ولا يضيع من لاذ به والتجا ويغنيه عن الوسائل والشفعا (وأنت المفضال) أي الكثير الفضل (الغني) وهو الذي لا تعلق له بغيره لا في ذاته ولا في صفاته بل يكون منزهاً عن العلاقة مع الأغيار.

وقال الشيخ الأكبر: أما غنى الحق عن العالمين من حيث ذاته المقدسة ودوام إطلاقه الحقيقي لا يظهر إلا بهم لأن كونه غنياً إنما هو غناه عنهم فإن لم يكن العالمون خفي غناه فلا بد منهم لثبوت

الغنى نعتاً له (بل من الكرم) وفي نسخة: بل الكرم (أن تحسن إلى من أساء إليك) بالمعاصي (وأنت الرحيم) المتصف بالرحمة الواسعة وهو المفيض للكمال المعنوي المخصوص بما أوجب على نفسه للمتقين والتائبين من عباده، وقد قسمت الرحمة إلى واجبة وامتنان: فرحمة الامتنان فيض من حضرة الرحمان، وبهذه الرحمة ظهر ما ظهر وبها حفظ الخلق ورزقهم على ما هم عليه، والرحمة الواجبة لها متعلق خاص بالنعت والصفات المخصوصة تظهر فيها آثار الرحيمية وهي مجال في تجلياتها ومجال سلطانها ودخول هذه الرحمة في الامتنانية دخول النوع في الجنس (العلي) في شأنك لعلوك بذاتك عما يليق بسمات الحدوث وصفات المحدثات (كيف لا يكون ذلك (وقد أمرتنا) على لسان حبيبك ﷺ (أن نحسن إلى من أساء إلينا) وذلك فيما ورد في بعض الأخبار: أن النبي ﷺ سأل جبريل عليه السلام عن العرف في قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: 199] فقال: لا أدري حتى أسأل ربي، أو قال: العلي سبحانه. ثم سأله فرجع وقال: يا محمد هو أن تعطي من حرمك وتصل من قطعك[1]، أي فهو مقابلة الإساءة بالإحسان (فأنت أولى بذلك منا) أنك أكرم الأكرمين وأجود الأجودين، وهذا الموضع مما أشكل على كثير من العلماء وقد سبق لي تأليف رسالة

(1) قال: ورد في بعض الأخبار أن النبي ﷺ سأل جبريل عليه السلام عن العرف في قوله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف﴾، فقال: «لا أدري حتى أسأل ربي»، أو قال: العلي سبحانه، ثم سأله، فرجع وقال: يا محمد، هو أن تعطي من حرمك، وتصل من قطعك.
قلت: رواه ابن جرير 9/ 155 وابن أبي حاتم 8682ـ 8683 وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق 24ـ25 كلها مراسيل.

صغيرة تتضمن التعريف بهذه الجمل التي أوردها الشيخ مفيدة في بابها وليست هي الآن عندي.

وأتكلم الآن في هذا المقام على حسب التيسير فأقول: أصل هذا الكلام في تحبير القشيري ولفظه: وليست الفتوة أن تحسن إلى من أحسن إليك إن ذلك جزاء ومكافأة، ولكن الفتوة أن تحسن إلى من أساء إليك. وبهذا أدّب الله نبيه ﷺ حيث قال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: 199] الآية، ففي الخبر أنه سأل جبريل عليه السلام عن العرف فقال: بماذا أمرني ربي؟ فقال: يقول صل من قطعك، الحديث.

وسمعت في هذا المقام شيخي العارف الصوفي علي بن محمد الأحمدي الدمرداشي يقول: المعاملات أربع مقابلة الإحسان بالإحسان وهو من صفات المؤمنين، ومقابلة الإحسان بالإساءة وهو من صفات الأرذلين، ومقابلة الإساءة بالإساءة وهو من صفات العامة، ومقابلة الإساءة بالإحسان وهو من شأن أرباب الفتوة، هكذا قال أو مثله بمعناه.

ووجد بخط المغيلي في هذا الموضع ما نصه: روي عن ابن الشيخ رضي الله عنه أنه كان يقول: ينبغي أن يسقط إليك من قوله: أحسن وأساء لأنه لا يحسن أحد إلى الله ولا يسيء إليه بدليل إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها غير أنه لا يبدل أحد لفظ الشيخ لأنه يرى بنور الولاية ما لا يراه غيره انتهى.

وعزاه الشارح إلى ابن عباد، وقال أبو القاسم محمد بن محمد المراكشي الشهير بالصيرفي: إنه وجد بخط الخطيب ابن عباد من كلام شيخه ما نصه: كثيراً ما رأيت في النسخ الكثيرة مكتوباً على

هذا الفصل: من كان له مع الله بسط حال فليناج بهذه الكلمات، ومن ليس له ذلك فليتجاوزها إلى ما بعدها من قوله: ربنا ظلمنا أنفسنا انتهى.

وقد أجاب أبو القاسم الصيرفي المذكور مختصراً ومطولاً بعدما نقل عن ابن الشيخ كلامه ما نصه: قول الشيخ رضي الله عنه صحيح ومعناه أحسن فيما بينه وبينك وأساء إليك كذلك أطاعك وعصاك والذي يسوغه مع إيهامه في بادي الرأي ما يوجب الاعتراض تطابقه مع قوله: كيف وقد أمرتنا إلخ، ثم رتب عليه فأنت أولى بذلك منا فلو حذف إليك لذهب رونق الكلام وتطابقه وقول ولده رضي الله عنه وعن أبيه بدليل إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم صحيح لو أريد بالاحسان إيصال نفع، وبالإساءة عائد بمضرة، وقد بينت أن أحسن وأساء بمعنى أطاع وعصى ولا توقف في مثل هذا الإطلاق، هذا جوابي على المناقشة في ألفاظه وما أحسن قول ولده رضي الله عنهما: يرى بنور الولاية ما لا يرى غيره وليت شعري من يقر هذا الإقرار كيف يسع عقله ما يشبه الإنكار، لكن البشر مقهور في هذا النمط بواسطة طبعه بقول الواحد القهار، انتهى ما قاله. ووجدت ذلك في طرة كتاب.

وأما جوابه مطولاً فأورده عقيب كلام ابن عباد السابق ما نصه: قال أبو القاسم الصيرفي: وما رأيت منه رضي الله عنه تصويباً لها ولا رداً عليها، والذي يظهر لي في ذلك ما أرسمه لك بعد الحمد لله، قال سيدنا أبو الحسن رضي الله عنه: فليس كرمك مخصوصاً إلى قوله: وأعرض عنك لا مرية في صحة هذا الكلام، وطريق الوقوف على صحة هذا وأمثاله وحي الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وفهم الأولياء منه عند هذه الطائفة بكشف واطلاع،

وهو إخبار بوصف من أوصاف الله تعالى لا يجوز فيه تخريص ولا تردد ولا تحكم بل هو إخبار عن الشيء بما هو عليه، ثم قال رضي الله عنه: وليس من الكرم أن لا تحسن إلى قوله: وأنت الرحيم العلي، هذه الجملة كالتي قبلها مرادها الخبر مثلها، فهو يقول: الذي أفهمنا عنك وحي رسولك بما كشفت فيه لأوليائك أن ليس من كرمك أن لا تحسن إلا لمن أحسن إليك بل من كرمك أن تحسن إلى من أساء إليك، هكذا وصفك لا أنا والعياذ بالله نتحكم عليك أن تتصف به، ثم أورد ما يشبه الاستدلال على نفي التردد فيما فهم عن ربه من وصفه بقوله: كيف وقد أمرتنا أن نحسن إلى من أساء إلينا فأنت أولى بذلك منا، وتقريره أمرتنا بالكرم المعار لنا من وصفك ولا شك أنك أولى بما اتصفت به على الحقيقة ممن أعرته شعبة من ذلك لا يتحقق بها وهو خلي، فعلى هذا التقدير لا يبقى فيه شيء مما توهم من الإشكال وينحل عنه قيد وقفه على أهل البسط والإدلال.

ومن هذا الأسلوب ما في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وأتى بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم»[1]، ومعناه أن فضل الله ورحمته لا يختص بها الطائع بل اقتضت حكمته تعلق جميع عباده بأوصافه خوفاً ورجاء لا يسعهم غير ذلك، والله الغني وأنتم الفقراء، فلو فرض خلاف ذلك بوجه كما في مثال: لو لم تذنبوا لكان العباد حينئذ على خلاف ما

(1) قال: ومن هذا الأسلوب ما في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وأتى بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم».

قلت: رواه مسلم عن أبي هريرة 2749.

تقتضيه العبودية مع الربوبية ولا يستحقوا أن يذهب بهم ويؤتى بقوم تظهر فيهم آثار مولاهم كما هو الواقع، وأكده بالقسم عليه تفريغاً في قالب ما يستحيل خلافه وفيه جبر انكسار المذنب، وهو غاية في عموم الكرم كما أشار إليه الشيخ رضي الله عنه، ولو ذهب ذاهب إلى أنه أخذه منه لم يبعد قال هذا وكتبه بخطه ووقفه على نظر ما يبطله أو يصححه من فيه أهلية لذلك محمد بن محمد المراكشي شهر بالصير في نفعه الله بهذه الطائفة العلية وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، انتهى ما وجد من خط المغيلي.

وقال الشارح عقيب إيراده كلام ابن عباد السابق ما نصه: إلا أن يقال إن الشيخ رضي الله عنه أومى لدفع هذا الوهم والمخالفة بقوله: وأنت المفضال الغني انتهى، أي من اتصف بصفة التنزيه عن العلاقة بالأغيار كما عرف من معنى الغنى لا يتقيد بإحسان المحسن خاصة كما هو مفهوم اسمه الكريم.

ثم نقل عن المحشي ما هو أبسط وأقعد بقواعد هذه الطائفة وأنا أورده بتمامه، قال ما نصه: وإنما جاء الكلام كذلك على سبيل الفرض والنظر لصورة الحال وما يقصده العبد من النصح لجناب الحق والوفاء بما يستطيعه ويقدر عليه في عزمه وصميمته ووجود ضد ذلك فقد جاء النظر لصورة الظاهر واعتباره في الشرع كقوله تعالى: ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: 91] الآية، وكقوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: 9] الآية ونحو ذلك.

ويشهد لذلك الحديث الإلهي: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني»[1] الحديث، وفي الصحيح قال عليه السلام: «أتى

---

(1) قال: ويشهد لذلك الحديث الإلهي: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني. . .» الحديث.
=

الله عز وجل عبد من عبيده آتاه مالاً فقال له: ماذا عملت في الدنيا ولا يكتمون الله حديثاً؟ قال: يا رب آتيتني مالك فكنت أبايع الناس وكان من خلقي الجواز فكنت أتيسر على الموسر وأنظر المعْسر ـ وفي رواية: كان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر ـ»، قال: فقال الله عز وجل: «أنا أحق بذا منك تجاوزوا عن عبدي فتجاوزوا عنه»[1]. وفي الحديث: الدعاء بيا حسن التجاوز.

= قلت: هو جزء من حديث قدسي طويل رواه مسلم 2577 من طريق أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روي عن الله تبارك وتعالى أنه قال: يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا. يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم. يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي، كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم. يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي؛ إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه». قال سعيد: كان أبو إدريس الخولاني إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه.

(1) قال: وفي الصحيح قال عليه السلام: «أتى الله عز وجل عبداً من عبيده آتاه مالاً فقال له ماذا عملت في الدنيا ولا يكتمون الله حديثاً. قال: يا رب آتيتني مالك فكنت أبايع الناس، وكان خلقي الجواز فكنت أتيسر =

وكان الحسن بن علي إذا أتى باب المسجد رفع رأسه وقال: إلهي عبدك ببابك يا محسن قد أتاك المسيء، وقد أمرت المحسن منا أن يتجاوز عن المسيء فأنت المحسن وأنا المسيء، يا متجاوز تجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك، يا كريم.

وإذا علم هذا ومثله من موارد الشرع في حقه تعالى ووعده تعالى بذلك وإخباره عن نفسه فسؤال ذلك وحكايته والإخبار بحقيقته وتصوير حقيقته والتعلق بذلك الفضل الموعود به الذي هو أحق به وإنما خلقه في غيره دلالة عليه وتصويراً لفضله مع كونه أثراً من آثار رحمته لأدرك على مستعمله ولا خلل فيه على أن الكلام خرج مخرج الدلالة لما قبله، فكأنه قال: ليست رحمتك موقوفة على الطاعة ولا كرمك مخصوصاً بالمطيع، توقف المسبب على السبب وترتبه عليه واختصاصه به عقلاً جل حكم الأزل أن ينضاف إلى العلل، وأشار إلى ذلك بقوله: وأنت المفضال الغني وكذا الرحيم العلي، ففي كل ذلك التنبيه على التنزيه اللائق به تعالى من رحمته لعبده في عين علوه واقتداره مع عصيانه وعدم اختصاص فضله ورحمته بالمطيع لغناه عن طاعته، وهذا كله تصوير لغاية المجد والكمال. انتهى كلام المحشي.

ثم استشعر الشيخ قدس الله سره التقصير من نفسه باشتغاله

= على الموسر، وأنظر المعسر»، وفي رواية: كان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: فقال الله عز وجل: «أنا أحق بذا منك تجاوزاً عن عبدي»، فتجاوزوا عنه.

قلت: رواه مسلم 1560 من حديث حذيفة رضي الله عنه.

أما الرواية الثانية فرواها مسلم أيضاً 1561 من حديث أبي مسعود رضي الله عنه.

بأحوال الدنيا وتركه الإقبال على خالقها فذكر الكلمات التي تاب على آدم عليه السلام بها وذلك عند هبوطه مع حواء من الجنة استعظاماً لما وقع منهما وإن لم يكن في نفسه عظيماً على عادة المقربين في استعظام الصغيرة من السيئات، فكانت عاقبتهما أن تاب الله عليهما اقتداء بهما فقال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: 23] وهو ثلاث مرات كما في الرواية المشهورة، وفي بعضها الاقتصار على الواحدة (يا الله يا الله يا الله) ثلاث مرات كرره تلذذاً بذكره إذ هو الاسم الأعظم، وفي بعض النسخ: الاقتصار على المرة الواحدة.

قال الشيخ الأكبر في «حقائق الأسماء»: اعلم أن مذهب أكثر العلماء من أهل الحق وأصحاب الكشف أن هذا الاسم علم للذات المتعالية، وأن الله تعالى أقام هذا الاسم مقام الذات موضوعاً لجميع الأسماء والصفات، وأضاف سائر الأسماء الحسنى إليه وحملها عليه بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: 180] وحمل هذا الاسم على هويته الغيبية ووضعه موضع المسمى فقال تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: 255] إشارة إلى نفي ما يستحيل كونه وإثبات ما يستحيل فقده.

وأنكرت المعتزلة والأشاعرة وطائفة من علماء العربية علميته وقالوا: إن وضع الاسم العلم متوقف على معرفة حقيقة الذات وذاته تعالى غير معلومة للخلق، فوضع العلم له محال.

وأجيب عنه بأنه وإن لم تكن ذاته معلومة للخلق وليس لهم أن يضعوا له اسماً علماً فلا خلاف أن ذاته تعالى معلومة له ولا يمتنع عليه أن يضع لذاته اسماً علماً تعليماً لعباده على ألسنة رسله وأوليائه، ومن أنكر علمية هذا الاسم قال باشتقاقه، انتهى.

قلت: وإليه جنح الغزالي في «المقصد الأسنى» حيث قال: والأشبه أنه جار في الدلالة على هذا المعنى مجرى الأسماء الأعلام، وكل ما ذكر من اشتقاقه وتصريفه تعسف، انتهى.

وأراد بقوله: على هذا المعنى، ما أورده قبل هذا الكلام هو اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلهية المنعوتة بنعوت الربوبية المنفرد بالوجود الحقيقي.

ثم قال الشيخ الأكبر: واعلم أن من اختصاص هذا الاسم وجلالته أنه تعالى عصمه أن يسمى به أحد غير ذات الحق لكمال دلالته على الذات الأحدية وإن كان لكل اسم إلهي دلالة على ذات الحق تعالى، لكن كل اسم من الأسماء ما عدا هذا الاسم مع دلالته على ذات الحق يدل على معنى آخر من إثبات أو سلب، ولم يقو في أحدية الدلالة على الذات قوة هذا الاسم، فإن مدلولات الأسماء الزائدة على مفهوم الذات مختلفة منها أسماء تفهم منها أعيان الصفات الثبوتية الذاتية كالحي والعالم والمريد والقادر، ومنها أسماء يفهم منها النسب والإضافات كالأول والآخر والظاهر والباطن، ومنها أسماء تقتضي الأفعال كالخالق والرازق والمحيي والمميت، وليس في الأسماء اسم ينوب مناب كل اسم إلهي إلا الله.

(يا رحمان) هو المفيض للوجود والكمال الصوري على الكل بحسب قابليات الأعيان كما تقتضي الحكمة.

قال الغزالي: هو أخص من الرحيم ولذلك لا يسمى به غير الله تعالى، والرحيم قد يطلق على غيره فهو من هذا الوجه قريب من اسم الله الجاري مجرى العلم، وإن كان مشتقاً من الرحمة قطعاً

ولذلك جمع الله بينهما فقال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: 110] فيلزم من هذا الوجه ومن حيث منعنا الترادف في الأسماء المحصاة أن نفرق بين معنى الاسمين فبالحري أن يكون المفهوم من الرحمان نوعاً من الرحمة هي أبعد من مقدورات العباد وهي ما يتعلق بالسعادة الأخروية، فالرحمان هو العطوف على العباد بالإيجاد أولاً وبالهداية إلى الإيمان وأسباب السعادة ثانياً، وبالإسعاد في الآخرة ثالثاً وزيادة الإنعام بالنظر إلى وجهه الكريم رابعاً، وهذه الوجوه الأربعة راجعة إلى السعادة الأخروية.

(يا قيوم) هو الذي قوامه بذاته وقيام كل شيء به على جهة الافتقار إليه في الذات واللوازم، فهو وصف له تعالى باعتبار وجود الكل به.

(يا من هو هو هو يا هو) وفي بعض النسخ من قوله: يا الله يا رحمان إلى هنا ثلاث مرات، وخاطبوه بخطاب الغائبين فقالوا: يا هو إذ لا يسبق إلى قلوبهم غير ذكر الحق فلا يحتاج إذ ذاك إلى بيان له لاستهلاكهم في حقائق القرب باستيلاء ذكر الله على أسرارهم وامتحائهم عن شواهدهم فضلاً عن إحساسهم بمن سواه، والإشارة بهو مختصة بأهل الاستغراق والتحقق في الهوية الحقيقية، والمشار إليه لما كان واحداً كانت الإشارة المطلقة لا تكون إلا إليه لفقد ما سواه في شعورهم لفنائهم عن الرسوم البشرية بالكلية وذلك غاية في التوحيد، وهذا مقتضى حال القوم من وجدانهم وذوقهم، فهو عندهم اسم مستقل بمعناه لا ضمير غيبة، فيعترض بأنه لم يسمع في كلام العرب إلا نداء ضمير الخطاب على خلاف فيه حتى قال أبو حيان في «شرح التسهيل»: فكلام جهلة الصوفية في قولهم: يا هو ويا أنا، ليس جارياً على كلام العرب، وذلك بناء منه على أنه ضمير

غيبة في كلامهم لجهله بحالهم ومقاصدهم، وقد قيل: لا تجعلوا لأهل الظاهر حجة على أهل الباطن فمن نسبهم إلى الجهل فهو أحق به لأنه كذب بما لم يحط به علماً ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36]، انتهى ما نقله الشارح عن «المحشي» مع الاختصار.

وقد تقدم لنا شيء آنفاً في تحقيق هذا اللفظ وفي الهوية (إن لم نكن) معشر العصاة المذنبين (لرحمتك) الواسعة (أهلاً) أي ذوي استحقاق (أن ننالها) أي نصل إليها وندركها لبعدنا وقصورنا ونقصنا الذاتي (فرحمتك أهل أن تنالنا) لسعتها وعدم قصرها على المطيعين، أي فكما أن عدم الأهلية لها ذاتي في العبد لنقصه فكذلك أهلية الرحمة للإنالة المطلقة ذاتي لكماله تعالى وغناه على الإطلاق.

(يا رباه) مرة واحدة كما في الرواية المشهورة، وفي بعض النسخ تكراره ثلاث مرات (يا مولاه) وهما نداء إشفاق وفرق من المنادي أن يعذبه بذنوبه ويؤاخذه بها وصلوهما بمدة وهاء ليبرز التوجع في المدة ويكون الهاء معتمداً يسكت عليه، فتكون المدة أنيناً وأسفاً، وقد ورد في بعض الأخبار مرفوعاً في تفسير اللهفان: عبد أصاب ذنباً فكلما ذكر ذنبه امتلأ قلبه فرقاً من الله قال: يا رباه (يا مغيث من عصاه) أي مفرج كرب العاصين وأغاثه نصره وأعانه وفرج عنه ما يسوؤه وفيه إيذان بأن الطائع أولى بذلك لما عهد من كامل كرم الله وفيه إشعار بتحقير النفس ونسبة العصيان إليها. وفي بعض النسخ: يا مغيثاً لمن عصاه، ومن قوله: يا رباه إلى هنا ثلاث مرات في الرواية المشهورة، وذكر هذا الوصف ليرتب عليه ما بعده من السؤال وهو قوله (أغثنا أغثنا أغثنا) ثلاث مرات ليطابق كل مرة منها مع الأوصاف أو للتأكيد على رواية من اقتصر في الجمل

السابقة على المرة الواحدة، أو للتلذذ بالمقام.

(يا رب) بضم الباء ليفيد الربوبية المطلقة العامة لا على معنى الإضافة حتى يقتضي اختصاص الربوبية مع المتكلم لأنه مع الإطلاق أبلغ وأمدح، قاله الشارح.

ومن معاني الرب المالك، ومن شأن المالك إغاثة المملوك (يا كريم) هو الذي أكرم عبيده بالوجود الذي هو الخير المحض وحال بينهم وبين العدم الذي هو الشر المحض وأعطاهم جزيل الهبات وغرائب المنح ولم يمتن عليهم، ومن كان شأنه كذا فهو أحق بإغاثة من يستغيث به، واختص هنا بذكر هذين الاسمين لما ذكرنا من مناسبة معانيهما للإغاثة، ثم لما كانت الإغاثة عامة في كثير من الفيوضات خصها بنوع خاص منها وهي الرحمة فقال (وارحمنا) رحمتك الواسعة وليس مكرراً مع قوله السابق إن لم نكن لرحمتك أهلاً إلخ، فإن هناك بيان أهلية الرحمة وعموم تعلقها للمطيعين والعاصين وهنا السؤال لها ولا مع قوله: ما توصلنا به إلى رحمتك ومن رحمتك ما تحول به الخ، ولا مع قوله: وارحمنا إذا عصيناك الخ، ولا مع قوله: ومن معنا برحمتك، ولا مع ما له من دافع إن لم ترحمني لاختلاف المقامات والأحوال يظهر عند التأمل الصادق، ولما لاحظ سعة رحمة الرب الكريم أتى في التوسل بما يناسبها من الأسماء في دلالة العموم فقال (يا بر يا رحيم) فالبر مقلوب الرب، وفي مقابلته به والرحيم بالكريم مع المناسبات المعنوية حسن لا يخفى، ومعنى البر المحسن بإحسانه ونعمه وآلائه التي أنعم بها على خلقه لافتقارهم إلى ذلك.

ومن عموم بره وإحسانه وشمول رحمته وامتنانه أخرج الممكنات من ظلمة العدم وكساهم خلع الوجود، وأكثر الخلق

رحمة أقربهم من الرحمان، ولذلك قرنه بالرحيم لما في معناه من إفاضة الخير الكثير، ولما ناداه بما يقتضي كثرة إحسانه عقبه بما يقتضي سعة ملكه وعظمة سلطانه فقال: (يا من وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم) وهي آخر آية الكرسي، وفي نسخة: أغنني يا من وسع الخ، وليس مكرراً مع ما أورده سابقاً بتمامها لأن لكل مقام مقالاً كما أن لكل مقال مقاماً، وسيأتي لهذه الجملة سياق حكاية هي الحامل للشيخ قدس الله سره في إيرادها هنا لما فتح له باب الإجابة في هذه الجملة الشريفة ولما وصف ربه تعالى بغاية الحفظ الذي لا ينبغي إلا له مع العلو والعظمة.

قال طالباً ومتوسلاً به (أسألك الإيمان بحفظك) أي بحق حفظك المشار إليه في الآية وهو حفظه السماوات والأرض وعدم ثقل ذلك عليه، وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر: 41] ولما أوهم سؤاله تكراراً مع قوله السابق: فقد أعطيتنا الإيمان من قبل أن نسألك، فعلم منه أنه أعطى الإيمان، فيكون سؤاله ثانياً طلباً لما هو حاصل فأتى بما يزيل الوهم، وأنه لم يسأل بالحفظ تحصيل التصديق ولا مطلق الإيمان إنما سأل إيماناً مخصوصاً فقال (إيماناً يسكن) أي يطمئن (به قلبي من هم الرزق وخوف الخلق) وفي بعض النسخ زيادة: وذل الخلق قبل وخوف الخلق، وفي أخرى: نسألك الإيمان بحفظك إيماناً نسكن به، والمعنى لا يقلق قلبي ولا يضطرب باهتمام في تحصيل رزق أو في خوف من عدو ظاهر أو باطن.

ولما كان من جملة معاني الحفظ صيانة المتعاديات والمتضادات بعضها عن بعض وخلقه للأسباب التي تحفظ الإنسان

من الهلاك الداخل والخارج كسباع ضارية وأعداء منازعة ناسب السؤال بالحفظ في دفع الاهتمامين داخلاً وخارجاً وليس مكرراً مع قوله السابق: وهب لنا حقيقة الإيمان بك حتى لا نخاف غيرك الخ، إذ هناك سأل حقيقة الإيمان وهنا يقين الإيمان وهما متغايران.

ولما كان الحفظ يقتضي الرؤية والرؤية تقتضي التجلي الذي هو زوال حجاب البشرية وانصقال مرآة القلب عن صدأ الطبائع أشار إليه بقوله (واقرب مني) أي قرب كشف وعيان من غير كيف ولا أين، سأل قربه منه بالإفضال عليه والفيض وهو القرب الروحاني (بقدرتك) لصلاحيتها للتعلق بتكوين ذلك، وقد سقطت هذه من نسخة المغيلي، ولما كان القرب له مراتب بداية ونهاية ووسط ولم يعط نهايته إلا نبينا ﷺ ولذلك عرج في الإسراء بروحه وجسمه أشار إلى أن سؤاله للمرتبة الوسطى منه وهي مقام المشاهدة والمراقبة والحضور مع الله تعالى فقال (قرباً تمحق) أي تزيل (به) أي بذلك القرب (عني) أي عن وجودي أو نفسي (كل حجاب) يكون ساتراً عن عين المطلوب أعم من أن يكون حسياً أو معنوياً نورانياً أو ظلمانياً (محقته) أي أزلته وكشفته (عن) سيدنا (إبراهيم خليلك) عليه السلام (فلم يحتج) حين ألقي في كفة المنجنيق مكتوفاً ليرمى به في النار (لجبريل رسولك) عليه السلام، وذلك أنه عرض له بين السماء والأرض وقال: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا وأما إلى الله فبلى. فأثبت له حاجة وهي مقام الخلة (ولا) أحتاج (لسؤاله منك) وذلك أن جبريل عليه السلام قال له: سله، فقال: علمه بحالي يغني عن سؤالي. فرفع عليه السلام همته عن الخلق ووجهها إلى الملك الحق فلم يستغث بجبريل ولا احتاج إلى السؤال من الله بل رأى ربه أقرب إليه، وهذا هو مقام المشاهدة الذي طلبه من الله وهو محق الحجاب

بكشف الغطاء والعلم بالحاجة والافتقار، فمن رفع الله عنه الحجاب فني عن نفسه وإرادته وبقي بربه وكان عبد الله حقاً (وحجبته بذلك) أي المحق للحجاب (عن نار عدوه) نمروذ، وأنعمت عليه بأنواع المنن (وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء) المنازعة والأضداد الضارية أي عن وصول ضررهم (من غيبته عن منفعة الأحبة) بعدم الاعتماد على نصرتهم، والمراد بالأحباء هنا من يعتقد فيه أنه من حزبه فلم يخطر بباله سوى الله وحسن تدبيره له حتى صار العذاب عذاباً والجحيم برداً وسلاماً (كلا) أي حقاً وهو راجع لما قرر من قصة إبراهيم عليه السلام (إني) وفي نسخة إنني (أسألك أن تغيبني) كذا في الرواية المشهورة، وفي بعض النسخ: أن تغنيني من الإغناء، وأخاله تصحيفاً، والمعنى أي عن منفعة الأحباء (بقربك عني) بالفيض والإفضال فأكون من أهل الاستغراق في الشهود ومرجع القرب المفيد لمعنى التعلق بأذيال العظمة الإلهية والاتصاف بأوصاف العز والكرامة، وله علامات ظاهرة وباطنة، فالظاهرة المسارعة إلى نوافل الخيرات، والباطنة انفراد القلب مع الحق عن جميع المخلوقات، ويسمى هذا المقام عندهم الفناء في التوحيد يدل على ذلك قوله (حتى لا أرى) أي شيئاً غيرك أي أفنى عن الأسباب برؤية مسبب الأسباب (ولا أحس بقرب شيء ولا ببعده عني) إشارة إلى مقام الغيبوبة عن الخلق بشهود الحق (إنك على كل شيء قدير) أي ما سألتك إياه من متعلقات القدرة الأزلية وأنت قدير على إعطائه لي.

يروى أن الشيخ رضي الله عنه لما أخرج من تونس بإغراء قاضيها ابن البرا هم أن يدعو عليه فمنع من ذلك وألهم الله على قلبه أن يدعو بهذا فقال: يا من وسع كرسيه السماوات والأرض إلى هنا فكان ما كان من الظهور التام للشيخ وكفي همّ الأعداء الظاهرية

والباطنية، هذا حاصل ما ذكره الرصاع وغيره بالمعنى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [المؤمنون: 115-118] إلى هنا آخر الآية أتى بها هنا للتبرك بها.

فقد روي عن ابن مسعود في فضل هذه الآية أنها لو قرئت على جبل لزال أو على مصروع لأفاق[1]، ولتضمن آخرها المغفرة والرحمة ووصفه تعالى بخير الراحمين، ويوجد هنا في بعض الروايات بعد هذه الآية قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: 109].

(هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) وهذه الجملة متصلة بما قبلها، والتقدير ادعوه

(1) قال: فقد روي عن ابن مسعود في فضل هذه الآية أنها لو قرئت على جبل لزال أو على مصروع لأفاق.
والآية هي: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ [المؤمنون: 115].
قلت: رواه أبو يعلى في مسنده 5045 وابن أبي حاتم في التفسير 14070 وأبو نعيم في الحلية 1/ 7 من طريق حنش الصنعاني عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ في أذن مبتلى فأفاق، فقال له رسول الله ﷺ: «ما قرأت في أذنه؟»، قال: مبتلى، قرأت: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً...﴾ حتى ختم السورة، فقال رسول الله ﷺ: «لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال». وهذا حديث حسن.

مخلصين قائلين الحمد لله رب العالمين أو استئنافية خبرية قصد بها الثناء على الله تعالى وسقط هو الحي إلى آخره عند المغيلي (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) وزاد بعضهم في الرواية بعد هذه الآية اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت ورحمت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، اللهم وارض عن السادات الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين وعن الصحابة أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إلى هنا تمّ الحزب عند بعضهم وفي الرواية المشهورة بعد قوله: وسلموا تسليماً (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) هذا آخره عند المغيلي، ووجد في بعض الروايات بعد هذا: وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله ورضي الله عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن الحسن والحسين وعن الصحابة أجمعين وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

هذا آخر ما قصدت من شرح أسرار الحزب الكبير للقطب أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ونفعنا بسره ومدده آمين، فمن وجد فيه خللاً فليصلحه ولا يؤاخذ فالإنسان مجبول على الخطأ والعصمة لنبيه ﷺ.

وقد عنَّ لي أن أذكر هنا شيئاً من الأسانيد في تلقي هذا الحزب بل وسائر أحزابه إلى صاحبها رضي الله عنه تبركاً بذكرهم فأقول:

وصلنا هذا الحزب الشريف وسائر أحزابه ما بين سماع وقراءة وإجازة خاصة وعامة ومناولة من عدة شيوخ من طريق ثلاث وسائط: شرف الدين ابن المؤلف وأبي العباس المرسي وماضي بن سلطان خادم الشيخ.

أما الواسطة الأولى فعن شيخنا الإمام الفقيه المحدث أبي عبد الله محمد بن الطيب بن محمد الفاسي المدني رحمه الله تعالى، والشيخ الإمام الصوفي محمد بن عبد الله بن أيوب التلمساني الشهير بالمنور كلاهما عن الإمام المحدث الصوفي محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي عن جده الإمام أبي البركات عبد القادر بن علي الفاسي عن الإمام أبي عبد محمد بن القاسم الغرناطي الشهير بالقصار عن أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم الدكالي عن أبي عبد الله محمد بن عباد الخطيب عن أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الرندي عن الأستاذ المقرىء بالحرم الشريف سراج الدين عمر بن محمد بن علي الدمنهوري عن الإمام شرف الدين أبي عبد الله محمد بن القطب أبي الحسن الشاذلي عن والده رضي الله تعالى عنهما.

وأما الواسطة الثانية فعن كل من الشيوخ الشهابيين أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف الملوي وأحمد بن الحسن بن عبد الكريم الخالدي وأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد الحسني وعبد الحي بن الحسن بن زين العابدين البهنسي كلهم عن الإمام الصوفي محمد بن يوسف بن عبد الباقي الزرقاني عن الحافظ شمس الدين محمد بن علاء الدين البابلي وأبي الضياء علي بن علي الشبراملسي كلاهما عن أبي النجاء سالم بن محمد السنهوري عن الشيخ نجم

الدين محمد بن أحمد الغيطي عن المشايخ الثلاثة شيخ الإسلام زكرياء بن محمد الأنصاري وإبراهيم بن علي بن أحمد الشيبي المكي والشيخ كمال الدين محمد القادري الشهير بالطويل فالأولان عن الحافظ نجم الدين أبي القاسم عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي عن الحافظ برهان الدين إبراهيم بن محمد الحلبي سبط بن العجمي عن أبي الاعتراف عبد اللطيف بن محمد بن إبراهيم الجعبري عن أبي العباس أحمد بن محمد الجزائري.

(ح) وأخذ القصار أيضاً عن الإمام أبي النعيم رضوان بن عبد الله الجنوي الفاسي عن عبد الرحمان بن علي العاصمي الشهير بسقين عن الإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن غازي المكناسي عن أبي عبد الله السراج عن أبيه عن جده عن أبي القاسم البرجي عن قطب الحرم عبد الله بن أسعد اليافعي عن الشيخ ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الدائم الشهير بابن الميلق هو والجزائري عن الشيخ الزاهد ياقوت بن عبد الله العرشي.

(ح) وأخذ الكمال الطويل عن الشمس محمد بن محمد بن الجزري عن التاج عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي عن والده عن أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري.

(ح) وأخذ البابلي أيضاً عن علي بن يحيى الزيادي عن يوسف بن زكرياء هو وسقين أيضاً عن الجمال إبراهيم بن علي القلقشندي عن الشهاب أحمد بن محمد بن أبي بكر الواسطي عن أبي الفتح محمد بن محمد الميدومي.

(ح) ووقع لي سنده أعلى مما ذكر بدرجات وهي طريق

المعمرين عن شيخي السيد العارف محيي الدين نور الحق بن عبد الله الحسيني عن السيد المعمر سعد الله ابن غلام محمد الحسيني عن السيد المعمر عبد الشكور الحسيني عن السيد المعمر السياح شاه مسعود الاسفرايني هو والميدومي وابن عطاء الله وياقوت العرشي عن القطب أبي العباس أحمد بن عمر الأنصاري المرسي عن القطب أبي الحسن الشاذلي قدس سره.

وأما الواسطة الثالثة فعن شيخنا السيد عمر بن أحمد بن عقيل الحسيني والسيد عبد الحي بن الحسن وأحمد الملوي وأحمد الجوهري المذكورين كلهم عن عبد الله بن سالم البصري عن الشيخ عيسى بن محمد الثعالبي عن أبي الصلاح علي بن عبد الواحد الأنصاري عن أبي العباس أحمد بن محمد بن يحيى المقري التلمساني عن عمه أحمد بن يحيى المقري عن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الجليل التنسي عن أبي الفضل محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق الحفيد عن أبي الطيب بن علوان التونسي عن أبي الحسن محمد بن أحمد البطرني عن أبيه عن أبي العزائم ماضي بن سلطان خادم الشيخ عن سيده القطب أبي الحسن الشاذلي قدس سره.

وإلى هنا تم الكلام، ونسأل الكريم حسن الختام.

فرغ من تسويده في مجالس آخرها عصر نهار الاثنين ثالث عشر محرم الحرام افتتاح سنة 1195 ختم بالخير.

كاتبه العبد المقصر أبو الفيض محمد مرتضى بن محمد الحسيني غفر الله ذنوبه وستر عيوبه آمين، حامداً لله ومصلياً على نبيه

ومسلماً، سبحان ربك ربّ العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

وكان الفراغ من تبييضها من مسودة مولانا المؤلف حفظه الله تعالى على يد تلميذه الفقير الحقير عبد الرحمان بن حسن الجبرتي الحنفي عصر يوم الخميس المبارك تاسع عشر ربيع الثاني سنة تاريخه أعلاه حامداً لله ومصلياً على رسوله وداعياً لمؤلفه بطول البقاء لنفع عباده المسلمين، آمين بجاه سيد المرسلين.

فهرس المحتويات